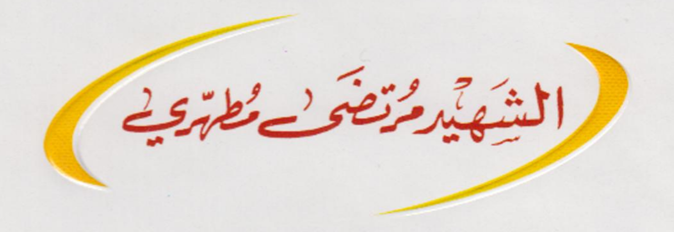
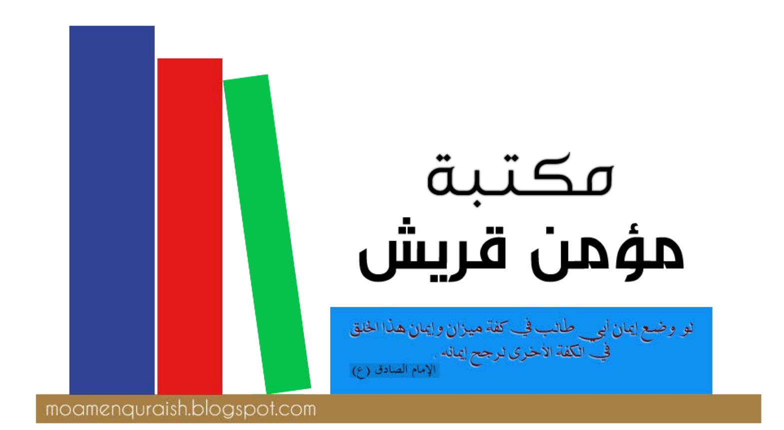


قصص الأبرار

يحتوي على ١٥٦ قصة متنوعة المضامين

منشورات الرضا


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

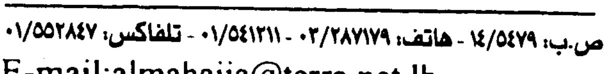
قصص الأبرار

مرتضى مطهري

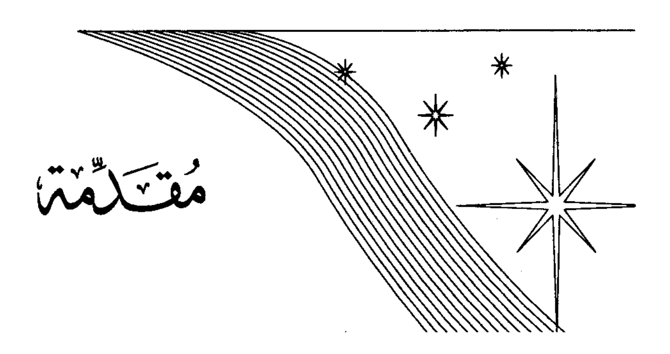
دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م





ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٣١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com



مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا وآل بيته المنتجبين.

كتاب «قصص الأبرار» أكثر كتب الأستاذ الشهيد انتشاراً، وانتشارها لا يكمن في كونها مجرد قصص للتسلية أو لقضاء الوقت، بل في كونها مدرسة يتلقى الطلبة المسلمون فيها كل خير على اليد الأمينة للمعلم الشهيد.

والقصص التي بين يدي القارئ الكريم، لم تكن من نسج الخيال أو ابتكار المؤلف نفسه، وإن كان قد غذى النصوص ونمّاها وطعمها، بل هي مواقف رسالية وعقائدية وأخلاقية خالدة تمثل الإنسانية في أسمى صورها.

واليوم - ونحن نعيش الثورة الإسلامية المباركة في إيران - حيث لا شرقية ولا غربية، بل عودة إلى نبع الإسلام العذب

الصافي الأصيل، تجد الثورة نفسها إزاء مهمّات جسيمة، تأتي التربية في الصدارة منها. فبعد أن عاث الاستعمار وعملاؤه في النفوس فساداً، وسعى لإحلال الفكر الغربي محل الفكر الإسلامي، وبعد أن نأى المسلمون عن ينابيعهم الثرة التي لا تنضب وشخصيتهم الإسلامية المميزة، بعد كل ذلك ماذا يتحتم على المعلم المربّي أن يفعل؟

لكل مربّ - في الحقيقة - أسلوبه الخاص في التربية، ولقد اختار معلمنا الشهيد - في مؤلفه هذا أسلوب القصة لما للقصة من وقع كبير في النّفس الإنسانية، ولما لها من تأثير فعال على القارئ المسلم الذي تنطبع قصص أبطال الإسلام وشخصياته المرموقة في ذاكرته انطباعاً، فيهتدي به، سيما أن له في سيرة أئمته الأطهار وصحبهم الأبرار، أسوة حسنة.

ومن جهة أخرى، فإن «قصص الأبرار» متعددة الدروس، متنوعة المضامين، إلا أنّها تلتقي برمتها عند هدف، وهو خلق الشخصية الإسلامية الملتزمة، التي تلتمس منارات الهدى والصلاح في طريقها الشائك الطويل، ولا بدّ لها تبعاً لذلك من أن تتزوّد بخير الزاد وهو التقوى، وعليه فإن القارئ المسلم سيجد في القصص التي بين يديه ثمار الحكمة والموعظة الحسنة، كما يجد فيها مكارم الأخلاق، والترفع عن الصغائر

والعفو عن المسيء، وكظم الغيظ، والتواضع، ومقابلة الإساءة بالإحسان، ويجد فيها ويجد. فأنت إزاء العطاء الإسلامي للإنسانية المتعطشة للنبل والخير والحق والفضيلة.

وفضلاً عن هذه القصص، فإن للباحث الشهيد كتابات فلسفية، وأخرى اجتماعية، وثالثة أخلاقية، ورابعة فقهية، وخامسة تأريخية، تصبّ كلها في مجرى واحد وهو، عرض الإسلام في أنقى صوره وأسماه.

بقي أن نذكر أن «قصص الأبرار» تقع في جزءين، يضمّ الجزء الأول (٧٥) قصة ويحتوي الثاني (٥٠) قصة أخرى، والذي يقرأ هذا الأثر الخالد للمعلم الشهيد مطهري، يعرف السرّ في ذيوع صيته لدى قراء الشهيد ومريديه.

والله نسأله أن يوفقنا للسير على خطى الشهيد، وأن نقتدي بالأبرار في قصصهم، إنه نعم الموفق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المترجم



١ - النبي وفريقان من أصحابه(١)

دخل النبي ﷺ ذات يوم مسجد المدينة فشاهد جماعتين من الناس، كانت الجماعة الأولى منشغلة بالعبادة والذكر، والأخرى بالتعليم والتعلّم، فألقى عليهما نظرة فرح واستبشار وقال للذين كانوا برفقته مشيراً إلى الفئة الثانية: ما أحسن ما يقوم به هؤلاء! ثم أضاف قائلاً: إنما بعثت للتعليم! ثم ذهب وجلس مع الجماعة الثانية.

٢ - الرجل الذي طلب المساعدة

بينما كان يستعرض صور ماضيه المليء بالمشقة ويتذكر الأيام المرّة التي خلّفها وراءه، كالأيام التي لم يكن قادراً على الحصول على القوت اليومي لزوجته وأطفاله المساكين. بينما كان كذلك وإذا بحديث سمعه من قبل يطرق سمعه ثلاث مرات مما بعث فيه العزم وغيّر مسيرة حياته وأنقذه مع عائلته من أسر الفقر والنكبة.

فبعد أن رأت زوجته أن الفقر المدقع قد بلغ أوجه، أشارت عليه بأن يذهب إلى النبي ﷺ ويعلمه بحالته المتدهورة تلك ويطلب منه العون والمساعدة.

---

(١) منية المريد، ص١٠.

فمضى من ساعته إلى النبي ﷺ ليخبره بما اقترحت عليه زوجته، وقبل أن يتفوه بحاجته، سمع هذا الحديث من النبي ﷺ: «مَنْ سَألَنا أعطَيْناهُ وَمَنِ اسْتَغْنَى أغْناهُ الله».

فلم يقل شيئاً وعاد إلى بيته بُخفيّ حنين. ومن شدة وطأة الفقر اضطر إلى أن يذهب إلى النبي ﷺ في اليوم التالي لطلب المساعدة، وإذا بالحديث نفسه يطرق سمعه للمرة الثانية «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله».

وعاد كما في المرة الأولى إلى بيته من دون أن يظهر حاجته إلّا أنه وجد نفسه في قبضة الفقر لا مناص منها. فنهض قاصداً النبي ﷺ للمرة الثالثة، وما أن سمع حديث الرسول ﷺ حتى غمر الاطمئنان قلبه لأنه أحسّ بأن مفتاح مشكلته بيده فخرج وهو يسير بخطوات واثقة مردداً في نفسه: لن أطلب معونة العبيد أبداً، سأعتمد على الله وأتوكل عليه فهو حسبي، وسأستعين بما وهبني عزّ وجل من قوة، وما التوفيق إلّا من عند الله.

وبينما هو في غمرة الأفكار استوقفه سؤال: ترى ما العمل الذي بمقدوري أن أعمله؟

وفجأة خطر له أن يذهب إلى الصحراء ويحتطب، فاستعار معولاً وشقّ طريقه نحو الصحراء، جمع مقداراً من الحطب، جاء به إلى المدينة، باعه، فذاق لذة تعبه وحلاوة كدحه. ولم

يزل هذا ديدنه حتى استطاع أن يشتري له ناقة وغلامين وكلّ ما يحتاجه من لوازم لعمله، وإذا به يصبح ذا ثراء وغلمان. وذات يوم التقى النبي ﷺ فأخبره خبره وكيف أنه جاءه لطلب المساعدة فابتسم النبي ﷺ وقال أتذكّر أنني قلت حينها «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»(١).

٣ - طلب الدعاء

دخل على الإمام الصادق عليه السلام رجل في حالة يرثى لها من الاضطراب والقلق والانفعال، وقال له: «يا مولاي، ادع لي الله أن يرزقني، لأنني كما تراني فقير لا أملك قوت يومي».

فقال الإمام عليه السلام: «لن أدعو لك!».

فتعجب السائل قائلاً: «ولمِ لا تدعو لي يا مولاي؟».

فردّ الإمام قائلاً: «إنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بالسعي في طلب الرزق وعدم التواكل، أما إذا أردت أن تجلس في بيتك وتتوسل إلى رزقك بالدعاء فهذا ما لا يرضاه الله فاسع إلى طلب الرزق كما أمرك الله»(٢).

---

(١) أصول الكافي، ج٢ ص١٣٩.
(٢) الوسائل، ج٢ ص٥٢٩.

٤ - عقل الناقة

ظهرت آثار التعب والإنهاك على قافلة الرسول ﷺ، بعد أن قطعت في المسير شوطاً طويلاً. ولمّا وجدت الماء الذي كانت تفتش عنه لتنزل بالقرب منه، ألقت عصا الترحال ونزل الصحابة ثم أناخوا مراكبهم المجهدة، كما نزل النبي ﷺ مع أصحابه، ثم اتجهوا نحو الماء يريدون الصلاة، إلّا أن النبي ﷺ سرعان ما قفل راجعاً إلى ناقته مما أثار عجب الصحابة، فظنوا أنه لم يرتض هذا المكان منزلاً ويريد أن يأمرهم بالسير فقالوا له: إلى أين تريد يا رسول الله؟

فقال: «أعقل ناقتي».

«نحن نعقلها يا رسول الله».

فقال ﷺ: «لا يستعن أحدكم بغيره ولو بقضمة من سواك»(١).

٥ - صديق في طريق الحج

عندما عاد من الحج أخذ يقصّ على الإمام الصادق عليه السلام ما حدث له في سفره مع رفاقه الذين كانوا معه، فكان يثني على أحدهم خاصة لأنه كان رجلاً زاهداً عابداً تقياً، ثمّ علق قائلاً:

---

(١) كحل البصر، ص ٦٩.

«لقد كنّا نفخر بصحبته يا مولاي فلقد كان مشغولاً بالطاعة والعبادة على الدوام، وكنّا ما أن ننزل بمكان حتى يتنحى ناحية يشتغل بالطاعة والعبادة فيها».

وهنا سأله الإمام الصادق عليه السلام: «من ذا الذي كان ينجز أعماله إذاً؟».

«نحن الذين كنا نقوم بذلك لانشغاله بالعبادة التي لم يكن له شأن سواها».

فقال له الإمام: «فتلعموا إذاً أنكم كلكم أفضل منه!».

٦ - على مائدة الطعام

ما أن ترجّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وخففوا عن مراكبهم أحمالها حتى استقر رأيهم على أن يذبحوا شاة ويعدّوها غداء لهم.

فقال أحدهم: «عليَّ ذبحها».

وقال الثاني: «عليَّ سلخها».

وقال الثالث: «وعليّ طبخها».

وقال الرابع: «. . . . . .».

ثم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أمّا أنا فعليّ جمع الحطب».

فقال الصحابة: «نحن نكفيك يا رسول الله».

فقال ﷺ: «أعلم ذلك، إلّا أنني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه»[(١)]. ثم قام ﷺ وجمع مقداراً من الحطب وأتى به.

٧ - القافلة التي تريد الحج[(٢)]

قافلة من المسلمين كانت تقصد مكة المكرمة، وما أن وصلت إلى المدينة حتى ألقت عصا الترحال وألقت بثوب التعب عنها، ثم واصلت السير - بعد أيام - شطر مكة المكرمة.

وفي الطريق بين مكة والمدينة وفي أحد المنازل صادف رجال القافلة شخصاً كان يعرفهم وفي أثناء الكلام معه جلب انتباهه شخص كان مشغولاً بخدمة القافلة وإدارة شؤونها، وكانت آثار الصلاح والصالحين بادية عليه، فعرفه للوهلة الأولى وسأل الرجال بتعجب: أتعرفون من هذا الرجل المشغول بخدمتكم وإنجاز أعمالكم؟

- لا، لا نعرفه، إنه التحق بقافلتنا في المدينة، رجل

(١) كحل البصر، ص٦٩.
(٢) بحار الأنوار، ج١١ ص٢١.

زاهد، صالح، ذو ورع وتقوى، يرغب أن يشترك في إنجاز أعمال الآخرين ومساعدتهم دون أن نطلب منه مساعدة أو إنجاز عمل.

- نعم، إنكم لا تعرفونه، فلو عرفتموه لم تكلوا إليه أعمالكم.

فقالوا مستغربين: من هو؟

- إنه عليّ بن الحسين - زين العابدين.

فنهض رجال القافلة، وتقدموا صوب الإمام عليه السلام معتذرين نادمين.

فقال عليه السلام: إنما رغبت بكم رفقاء للسفر لأنكم لا تعرفونني، ولأنني عندما أسافر مع الذين يعرفونني لا يدعونني أعمل شيئاً، ولهذا فإني أرغب أن أسافر مع الذين لا يعرفونني كي أحظى بخدمتهم.

٨ - المسلم والذميّ

كانت الكوفة فيما مضى محطّ أنظار الدولة الإسلامية، وكانت أنظار المسلمين عامة، ما عدا الشام، متوجهة إليها تنتظر ما يصدر فيها من أمر وتترقب ما يتخذ فيها من قرار.

ومن محاسن المصادفات أن التقى خارجها، ذات يوم من

الأيام. مسلم وذميٌّ فسأل احدهما الآخر عن الجهة التي يتطلبها.

فقال المسلم: أنا أريد الكوفة.

وقال الذميّ: أما أنا فأريد مكاناً قريباً منها.

ثم اتفقا أن يسيرا معاً ويقطعا طريقهما بالتحدث إلى بعضهما. ولانسجامهما في الحديث لم يشعرا بمضيّ الوقت ولا طول الطريق، إلى أن وصلا إلى مفترق الطرق، فتعجّب الذميّ لما رأى أن رفيقه المسلم يترك طريق الكوفة ويواصل السير معه. إذ ذاك سأله: ألست زعمت أنك تريد الكوفة؟

- بلى.

- فلم عدلت إذاً؟ هذا ليس طريق الكوفة.

- أعلم ذلك، فمن حسن الصحبة عندنا أن يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا ما فارقه، وبهذا أمرنا نبينا محمد ﷺ.

فقال الذمي: لا غرو أن يتبعه من تبعه لأخلاقه الحميدة وأفعاله الكريمة، وها أنا أشهدك أني على دينك[1]. ورجع معه فلما عرف أنه أمير المؤمنين عليه السلام، أسلم.

---

(١) أصول الكافي، ج٢ «باب حسن الصحابة وحق الصاحب في السفر» ص٦٧.

٩ - في ركاب الخليفة

عند مسيره الجهادي إلى الشام، مرّ الامام علي عليه السلام بمدينة الأنبار التي كان يقطنها الفرس، فخرج لاستقباله دهاقينها وفلاحوها وترجّلوا والتفّوا حوله مزدحمين لشدة استبشارهم بقدومه.

فقال عليه السلام: ما هذا الذي صنعتموه؟

قالوا: خلق منا نعظم به أمراءنا.

فقال عليه السلام: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وإنكم لتشقون على أنفسكم في دنياكم، وتشقون به في آخرتكم وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وأربح الدعة معها الأمان من النار[1].

١٠ - الإمام الباقر والنصراني

أراد رجل نصرانيّ أن يستهزئ بالإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام الملقّب بـ(الباقر). فقال له: أنت بقر. وبكلّ سماحته ولطفه أجابه الباقر عليه السلام: لا، أنا الباقر. فمضى النصراني يمعن باستخفافه بالإمام فقال: أنت ابن الطبّاخة، تلك هي حرفتها! أنت ابن السوداء الزنجية البذيئة.

---

(١) نهج البلاغة - الكلمات القصار - ٣٧.

فأجابه الإمام: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى».

فضاقت الأرض على عصام بما رحبت وودّ لو ساخت به ثم انصرف عن الإمام وما على الأرض أحبّ إليه من الحسين ومن أبيه عليهما السلام.

١١ - الرجل الذي طلب النصيحة[1]

أتى المدينة رجل من البادية وذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستنصحه فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغضب».

وعندما رجع إلى قبيلته أخبر بأن بعض صبيانها سرقوا مالاً من قبيلة أخرى فعوملوا بالمثل، فأسفرت النتيجة باصطفاف القبيلتين للقتال وإشعال نار الحرب، فلما سمع الأعرابي بهذا الخبر اضطرمت نار الغضب في داخله، فقام وطلب سلاحه والتحق بصف قومه. وبينما هو كذلك إذا بشريط الذكريات يتوالى في ذهنه فتذكّر أنه ذهب إلى المدينة وطلب من النبي أن ينصحه، وكانت نصيحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: «لا تغضب».

ساعتئذ ثاب الأعرابيّ إلى رشده ورجع إليه عقله، ففكر في

(١) أصول الكافي، ج٢ ص٤٠٤.

نفسه: «فيم الانفعال؟ ما هذا الاستعداد للحرب والقتال؟ وفيم الغضب من غير ما سبب؟» وإذا بنصيحة الرسول ﷺ تدعوه إلى نصح زعماء أعدائه فناداهم قائلاً: يا قوم علام هذا النزاع؟ إن كان لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعليّ في ما لي أنا أو فيكموه، فليس هناك من سبب للقتال وسفك الدماء.

فلما سمع زعماء القوم كلامه تحركت في نفوسهم الغيرة والشهامة وقالوا: «فما كان فهو لكم، ونحن أولى بذلك منكم» فتصالح الطرفان ورجع الصفان كلّ إلى قبيلته.

١٢ - المسيحي ودرع الإمام علي عليه السلام [(١)]

كان الإمام علي عليه السلام يأبى الترفع عن رعاياه في المخاصمة والمقاضاة، بل وكان يسعى إلى المقاضاة إذا استوجب الأمر ذلك لما أُشيع فيه من روح القسط والعدالة. من ذلك أنه وجد درعه عند عربي مسيحي من عامة الناس، فأقبل به إلى أحد القضاة، اسمه «شريح» ليخاصمه ويقاضيه، ولمّا مثلا أمام القاضي قال الإمام علي عليه السلام: «إنها درعي ولم أبع ولم

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص٦٣.

أهب» فسأل القاضي الرجل المسيحي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: «ما الدرع إلّا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب».

وهنا التفت القاضي شريح إلى علي يسأله: «هل من بيّنة تشهد على أن هذه الدرع لك؟» فضحك عليّ وقال: «أصاب شريح، ما لي بيّنة» فقضى شريح بالدرع للرجل المسيحي، فأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه. إلّا أن الرجل لم يخط خطوات قلائل حتى عاد يقول: «أما أنا فأشهد أن هذه أخلاق الأنبياء. أمير المؤمنين يدينني إلى قاضٍ يقضي عليه! ثم أردف قائلاً: «الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين وقد كنت كاذباً فيما ادعيت».

وبعد مرور مدة على ما حدث، شهد الناس هذا الرجل وهو من أصدق الجنود وأشد الأبطال بأساً وبلاءً مع الإمام علي عليه السلام في قتاله ضد الخوارج يوم النهروان.

١٣ - الإمام الصادق وجماعة من الصوفية(١)

دخل سفيان الثوري على الإمام الصادق عليه السلام فوجده مرتدياً

(١) تحف العقول، ص٣٤٨-٣٥٤، الكافي/ ج٥/ ص٦٥-٧٦.

ثياباً بيضاً ظريفة كأنها غرقيء البياض[1] فقال للإمام معترضاً: «إن هذا ليس من لباسك، ويجب أن لا تلوث نفسك بزينة هذه الدنيا الزائلة كما ان عليك أن تزهد فيها وتحلّي نفسك بالتقوى».

فقال عليه السلام: «اسمع مني وع ما أقول لك فإنه خير لك عاجلاً وآجلاً إن كنت أنت متّ على السنة والحق ولم تمت على بدعة من الممكن تجسّد أمام عينيك الوضع البسيط للرسول وصحابته في ذلك الوقت. أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في زمان جشب[2]. فإذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها، فما الذي تنكره عليّ يا ثوري، فوالله وإني لمع ما ترى، ما أتى عليّ مذ صرت راشداً، صباح ولا مساء ولله في مالي حق امرىء أن أضعه موضعاً إلّا وضعته».

فخرج سفيان من عند الإمام عليه السلام بدون أن يردّ عليه بقول. ثم دخل على الإمام عليه السلام قوم ممن يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف[3].

---

(١) غرقيء البياض: القشرة الرقيقة الملتصقة ببياض البيض.

(٢) الجشب: الفقر، خلّو الأرض من الماء والكلأ، والجشب من الطعام الغليظ الخشن.

(٣) التقشف: ترك النظافة والترف، ضد التنعم.

فقالوا: إنّ صاحبنا الثوري قد ارتج عليه ولم تحضره حجة.

فقال عليه السلام لهم: هاتوا حججكم.

فقالوا: إننا نستنبط حججنا من كتاب الله تبارك وتعالى.

فقال عليه السلام: فادلوا بها، فإنها أحقّ ما اتبع وعمل به.

فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من خاصة الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٢).

فقام رجل من الجالسين وقال: أنا ما رأيتكم قطّ تزهدون في الطيب من الطعام ومع ذلك تأمرون الناس بالزهد في أموالهم حتى تتمتعوا أنتم بها.

فقال الإمام عليه السلام: دعوا عنكم ما لا ينتفع به، أخبروني أيّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلَّ من ضلَّ وهلك من هلك من هذه الأمة؟

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة الدهر، الآية: ٨.

فقالوا له: بعضه، فأمّا كلّه فلا.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: من ههنا أتيتم ودخل عليكم البلاء وأصابكم ما أصابكم. وأمّا ما ذكرتم من أخبار الله إيّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم لحسن فعالهم، فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا قد نهوا عنه، وثوابهم منه على الله ذلك أنه جلّ وعلا أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم وكان نهيه تبارك وتعالى هدًى للمؤمنين ورحمة، لكيلا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم، لأن منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة، الذين لا يصبرون على الجوع - فإذا تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تمرات، أو خمس قرص، أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان ويريد أن ينفقها فإنّ أولها وأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثم الثانية على نفسه وعياله، ثم الثالثة على القرابة وإخوانه المؤمنين، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء، ثم الخامسة في سبيل الله وهو أحسنها أجراً.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما سمع رجلاً من الأنصار أنفق عند موته كلّ ما يملكه وكان له أولاد صغار: «لو علمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغاراً يتكفّفون الناس».

ثم قال الإمام علي عليه السلام حدّثني أبي الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ابدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى» أضافه إلى أن القرآن الكريم ردّ على قولكم ونهى عن عملكم حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1] وفي غيرها يقول:

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2] فنهاهم عن الإسراف ونهاهم عن التقتير، وعيّن أمراً بين أمرين، لا أن يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إن أصنافاً من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم»:

أ - رجل يدعو على والديه.

ب - ورجل يدعو على غريم[3] ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه.

ج - ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده.

د - ورجل يقعد في البيت ويقول أيا رب ارزقني، ولا يخَرج لطلب الرزق.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١، وسورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٣) الغريم: المدين.

فيقول الله عزّ وجلّ: عبدي: أولم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكي لا تكون كلاًّ على أهلك، فإن شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي.

- ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثم أقبل يدعو يا رب ارزقني فيقول الله: ألم أرزقك رزقاً واسعاً، أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف كما نهيتك؟

و - ورجل يدعو في قطيعة رحم.

ثم إن الله تعالى علّم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كيف ينفق مقداراً من الذهب فكره أن يبيت عنده شيء منه فتصدق به جميعاً في يوم واحد، وفي اليوم التالي جاءه سائل وطلب منه مساعدة ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حتى يعطيه فاغتمّ غماً شديداً، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1]. هذه هي أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن يؤيد مضامين هذه الأحاديث.

ولقد قيل لأبي بكر عندما حضرته الوفاة: أوص. فقال:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

أوصي بالخمس والخمس كثير فإن الله قد رضي بالخمس، فأوصي بالخمس. وقد جعل الله عزّ وجل له الثلث عند موته ولو علم أن الثلث خير له لأوصى به.

كما جرى على طريقته كلّ من سلمان وأبي ذر اللذين عرفا بالزهد والورع والتقى. فأما سلمان فكان إذا أخذ عطاءه، عزل منه قوته لسنته وادّخره حتى يحضره عطاؤه المقبل. فقيل له يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وإنك لا تدري قد تموت اليوم أو غداً؟ فكان جوابه لهم: ما لكم لا ترجون لي البقاء كما وصفتموني بالفناء؟ أوما علمتم يا جهلة، إن للنفس ثلثات على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمده، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت.

وأما أبو ذر رضي الله عنه فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم، أو نزل به ضيق، أو رأى بالذين يسعون إليه خصاصة نحر لهم الجزور[1] أو من الشياه على قدر ما يذهب عنهم قرم[2] اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ بينهم كنصيب أحدهم لا يفضل عليهم.

ومن أزهد من هؤلاء؟! وقد قال فيهم رسول الله ﷺ ما

(١) الجزور: البعير - ما ينحر من الإبل والغنم والشاه.

(٢) القرم: شدة الشهوة للحم.

قال. اعلموا أيّها النفر إنني سمعت أبي يروي عن آبائه عليهم السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً: «ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن إن قرّض جلده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، فكلّ ما يصنع الله عزّ وجل به فهو خير له».

فسعادة المؤمن وخيره لا يتوقفان على فقره وسعته، خير المؤمن وسعادته ينشآن عن إيمانه وعقيدته لأنه يعلم بأن وظيفته يجب أن ينجزها سواء أكان ثرياً أم فقيراً. والعجب أن المؤمن يضيّق على نفسه ويعتبر هذا الضيق والفاقة سعادة وخيراً.

ثم استطرد عليه السلام قائلاً: هل أزيدكم فيما قلت لكم؟ أوما علمتم أن الله جل اسمه قد فرض على المؤمنين في أول الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّي وجهه عنهم، ومن ولاهم يومئذ دبره فقد تبوّأ مقعداً من النار. ثم حولهم من حالهم - رحمة منه - فصار الرجل منهم يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عزّ وجل عن المؤمنين فنسخ الرجلان العشرة أخبروني أيضاً عن القضاة، أجور منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته، إذا قال: أنا زاهد ولا شيء عندي؟ فإن قلتم: جور، ظلمتم أهل الإسلام، وافتريتم عليهم، وإن قلتم عدل، خصمتم أنفسكم، أخبروني لو

كان الناس كلّهم مثلكم زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلى من كان يتصدق بكفّارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الإبل والغنم والبقر وغير ذلك من الذهب والفضة والنخل والزبيب، وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة؟ إذا كان هدف الدين أن يبقى الإنسان في فقر وفاقة وضيق وضنك، وأن يعرض عن متاع الدنيا وزينتها ويحبس نفسه في المسكنة والفاقة، فقد وصل الفقراء إلى الهدف السامي ولا يجب أن نعطيهم شيئاً من الزكاة حتى لا نخرجهم من سعادتهم وخيرهم الذي يتمتعون فيه، وهو الفقر والحاجة وباعتبار أنهم ينعمون بمثل هذه السعادة فيجب أن لا يقبلوا شيئاً من هذا القبيل.

إذا كان الأمر على ما تقولون فلا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا، إلّا قدّمه وإن كانت به خصاصة، فبئس ما ذهبتم إليه، وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عزّ وجل وسنة نبيه محمد ﷺ وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل ولكنكم ترفضون أحاديث النبي ﷺ إذا لم تتفق مع طريقتكم، وهذا هو جهل آخر، فأنتم لم تتدبروا الآيات القرآنية وما تنطوي عليه من دقائق تثير الدهشة والإعجاب، ولم تميزوا بين الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي.

أخبروني عن سليمان بن داود عليه السلام إذ سأل الله ملكاً لا

ينبغي[١] لأحد من بعده، فأعطاه الله جلّ اسمه ذلك، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه، ولا أحداً من المؤمنين أيضاً، وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل في ملكه وشدة سلطته، ثم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال لملك مصر ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢] فاختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن فكانوا يحملون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الحق ويعمل به، فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه. ثم ذو القرنين، عبد أحبّ الله فأحبّه، طوى له الأسباب وملّكه مشارق الأرض ومغاربها وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

فتأدبوا أيها النفر بآداب الله عزّ وجل، واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردّوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تعالى، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وما أحلّ الله فيه مما حرّم فإنه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل، ودعوا الجهالة إلى أهلها، فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل، وقد قال الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

---

(١) «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» سورة ص، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

١٤ - الإمام علي عليه السلام وعاصم بن زياد[1]

من كلام للإمام علي عليه السلام، بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - يعوده، فلمّا رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة أحوج، إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم ابن زياد، قال: وما له؟ قال: لبس العباء وتخلى من الدنيا. فقال الإمام: عليّ به. فلمّا جاءه قال له: يا عدو نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك، أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها، أنت أهون على الله من ذلك قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك.

قال: ويحك إني لست كأنت، إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره[2].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد - دار الفكر بيروت - ص١٧-١٨.

(٢) نهج البلاغة - الخطبة ٢٠٩.

١٥ - المعسر والموسر

دخل رجل فقير ليس عليه ما يستره، على الرسول ﷺ وهو جالس بين أصحابه وإلى جانبه رجل موسر، ما أن رأى الفقير بهذه الهيئة حتى جمع أطراف ثيابه دون علم منه أن النبي ﷺ يراقبه. فقال له النبي ﷺ: جمعت أذيالك أخفت أن يمسّك من فقره شيء؟

- لا.

- أخفت أن يصيبه من غناك شيء؟

- لا.

- فقال ﷺ: فما حملك على ما صنعت؟

- قال: يا رسول الله إن لي قريناً شيطاناً يزين لي كلّ قبيح ويقبح لي كلّ حسن... واستطرد قائلاً:

- أعترف بأنني مخطئ وأنا مستعد أن أكفّر عن الخطأ الذي قمت به تجاهه، بأن أهب له نصف ما أملك.

فقال النبي ﷺ للمعسر: أتقبل؟

قال: لا.

فقال له الرجل الموسر متعجباً: ولم؟

قال: أخاف أن يداخلني ما داخلك[١].

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص٢٦٢- باب فضل فقراء المسلمين.

١٦ - السوقي والعابر[١]

كان مالك الأشتر ضخم الجثة طويل القامة يرتدي قميصاً وعمّة، قد طبعت الحرب على وجهه آثارها وعلمته بعلائمها وحكت عن بطولاته في ميادينها بتقاسيم وجهه. بينما كان يمشي ذات يوم في سوق الكوفة وإذا بأحد السوقة تحدّثه نفسه بالازدراء به والاستهزاء بزيّه فرماه ببندقة، وبدون أن يعيره الأشتر التفاتاً واصل السير حتى توارى عن الأنظار.

عندها قيل للسوقي: ويحك أتعرف من رميت؟

- لا، لم أعرفه، عابر مثل آلاف المارة.

- إنه مالك الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وقائد جيشه.

- أهذا هو مالك الذي ترتعد فرائص الأسد خوفاً منه ويرتجف العدوّ من اسمه؟

- نعم هو بعينه.

فهرول الرجل من ساعته راكضاً خلف مالك ليعتذر إليه عمّا بدر منه، إلّا أن مالكاً كان قد دخل أحد المساجد، فلما وصل الرجل وجده قائماً يصلي، فلمّا انتهى من صلاته انكبّ الرجل على قدميه يقبلهما. فقال له مالك: ما هذا؟

---

(١) سفينة البحار، مادة شتر ص٦٨٦.

- أعتذر إليك عمّا صدر مني، أنا الذي استهزأت بك وتجرأت عليك.

- لا بأس عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلّا لأستغفرن لك.

١٧ - الغزالي وقطاع الطرق[1]

كان الغزالي - العالم الإسلامي المشهور - من أهالي طوس، وهي قرية تقع بالقرب من مدينة مشهد، وفي ذلك الوقت، أي في القرن الخامس الهجري، كانت مدينة نيشابور مركزاً للعلم والمعرفة حيث كان روّاد العلم يقصدونها من جميع الأنحاء.

وكان الغزالي من جملة من جاء إلى نيشابور وجرجان لطلب العلم وكسب الفضل، وقد حاز فعلاً على جانب عظيم منهما على يد أساتذة بارعين. وكانت طريقة الغزالي في الدرس أن يدّون ما يلقيه عليه الأستاذ على ورقة حتى لا ينساه، فتكونت لديه من هذا الطريق مجموعة من المخطوطات كتبها خلال فترة الدراسة ولمّا عزم على الرجوع إلى وطنه جمع هذه

(١) نقلاً عن كتاب (غزالي نامة) بالفارسية ١١٦.

المخطوطات ووضعها في محفظة وسار مع القافلة يريد وطنه، فشاء القدر أن يخرج على القافلة قطاع طرق ليسلبوا كلّ ما في القافلة من مال. فلما وصل دور الغزالي شاهدوا محفظة المخطوطات فأرادوا أخذها منه فتوسل إليهم الغزالي أن يدعوها له، فظنّوا أنّ في داخلها متاعاً ذا قيمة، فلما فتحوها وجدوا فيها كتباً وأوراقاً، فسألوه ما هذه؟ وما انتفاعك بها فأجابهم: إنها تنفعني ولا تنفعكم.

- وما الذي تستفيده من أوراق كهذه؟

- إنها ثمرة عدة سنين من الدراسة وإذا أخذتموها مني فستضيع معلوماتي كلّها وستذهب أتعابي هباء.

- أحقاً إنّ كلّ ما تعلمته هو في هذه الأوراق؟

- نعم.

فقالوا له إن العلم الذي يكون قابلاً للسرقة ليس بعلم فتركت هذه الكلمة أعمق الأثر في نفسه وأحدثت تغييراً في استعداده وذكائه، إذ إنه كان إلى ذلك الحين كالببغاء في تعلمه، يسجّل كلّ ما معه عن أساتذته على الأوراق، ولكنه أخذ بعد سماعه لهذه الكلمة يدرّب ذهنه على التفكير ويعوّده على الحفظ، فكان يدوّن الدروس والمسائل المهمة في دفتر ذهنه بدلاً من تسجيلها على الورقة. يقول الغزالي عن تأثره بتلك

النصيحة الثمينة: إنّ من أحسن النصائح التي نوّرت حياتي الفكرية تلك التي سمعتها من قطاع الطرق.

١٨ - ابن سينا وابن مسكويه

تعلّم ابن سينا علوم زمانه، ولمّا يبلغ العقد الثاني من عمره بعد وحاز على درجة ممتازة في الفلسفة والطبيعيات والرياضيات والعلوم الدينية. وبينما كان مشغولاً بالتدريس ذات يوم إذ حضر درسه ابن مسكويه العالم المعروف فرمى ابن سينا جوزة أمام ابن مسكويه وقال له بترفع: ما هي مساحة سطح هذه الجوزة؟ فردّ ابن مسكويه على ابن سينا قائلاً: أصلح أخلاقك أولاً فأنت إلى إصلاح أخلاقك أحوج من تعيين مساحة سطح هذه الجوزة. ثم أعطاه كتاباً في الأخلاق كان معه. فخجل ابن سينا من هذا وصار قول ابن مسكويه سبباً في إصلاح أخلاقه فيما بقي من عمره.

١٩ - نصيحة زاهد[١]

خرج محمد بن المنكدر - الذي كان يعتبر من الزهاد

(١) (تاريخ علوم عقلي در إسلام) بالفارسية، ص٢١١.

والعباد - إلى خارج المدينة ظهر يوم من أيام الصيف القائظ، وكانت الشمس تلتهب التهاباً، فرأى رجلاً بديناً متكئاً على غلامين أسودين وقد خرج لمراقبة مزرعة له، فقال في نفسه: من هذا الرجل الذي أخرجه شغل الدنيا في مثل هذا الجو الساخن؟ لأذهبن إليه وأعظه.

فلما دنا منه ألفاه الإمام الباقر عليه السلام فعجب أشدّ العجب، وبعد أن سلّم عليه ورد الإمام عليه سلامه وهو يتصبب عرقاً، قال ابن المنكدر: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش، أفي ساعة كهذه وعلى حالة كهذه خرجت تطلب الدنيا؟ ماذا سيحدث لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟

فاستند الإمام الباقر عليه السلام إلى جدار ثم أجاب: والله لو جاءني الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى، أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس، إنّما أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله. فتنبه ابن المنكدر إلى خطئه حيث يظن أنه على صواب، فتوجه إلى الإمام وقال: يرحمك الله يا أبا جعفر أردت أن أعظك فوعظتني.

٢٠ - في مجلس الخليفة[1]

كان الخليفة المتوكل يحذر الإمام الهادي عليه السلام ويخاف من التفاف الناس حوله وإطاعتهم له، وكان الوشاة المحيطون بالمتوكل لا يترددون عن القول إن الإمام الهادي يسعى للإحاطة بحكم المتوكل ولا يستبعدون أن يوجد في دار الإمام أدّلة ومستمسكات تشير إلى ذلك، كأن يكون بيته مذخراً للأسلحة، مما دعا المتوكل أن يرسل رجاله في ليلة من الليالي التي خيّم فيها السكون على البلدة وسلّط النوم كابوسه على الأبصار، لتفتيش بيت الإمام وإحضار الإمام عليه السلام إلى مجلس الخليفة الذي كان ثملاً آنذاك، يناجي غوانيه وندمائه.

عندما دخل رجال المتوكل على الإمام عليه السلام وجدوه مشغولاً بالعبادة لا يلهيه عن ذكر الله لاهٍ. ولما فتشوا زوايا الدار لم يجدوا مرادهم فاكتفوا بأن أخذوا الإمام معهم وأحضروه إلى المتوكل.

كان المتوكل سكراناً عندما دخل الإمام عليه، فأمر زبانيته أن يجلسوا الإمام إلى جانبه، فلمّا جلس الإمام عليه السلام قدّم المتوكل له خمراً فامتنع الإمام عن شربه معتذراً. فقبل المتوكل

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص١٤٩.

اعتذاره على أن يسمع الحاضرين شعراً غزلياً، فاعتذر الإمام مرة أخرى، إلّا أن المتوكل لم يقبل عذره هذه المرة، فشرع الإمام عليه السلام ينشد هذه الأبيات:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم
واسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا
أين الأساور والتيجان والحلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود ينتقل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا
فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أُكلوا

ولما أنشد الإمام عليه السلام هذه الأبيات، صحا المتوكل من سكره وتقاطرت دموعه على خديه وطلب من الإمام العفو والصفح.

وهكذا انفض مجلس الخليفة، وهكذا استطاع نور الحق أن يبزغ بالحقيقة فيزيل ضباب الباطل.

٢١ - صلاة العيد[1]

عندما انتصر المأمون بذكائه وتدبيره على أخيه الأمين وأصبحت الخلافة الإسلامية تحت سيطرته ونفوذه، كتب إلى الإمام الرضا عليه السلام يطلب منه الحضور في مرو - حيث كانت في ذلك الوقت جزءين خراسان، فاعتذر الإمام عليه السلام بأعذار كثيرة ولكن إصرار المأمون عليه ومكاتبته له أجبراه على الخروج من المدينة والتوجه إلى مرو لعلمه أن المأمون لا يكفّ عن دعوته، ولمّا وافى عليه السلام مرو عرض عليه المأمون أمر الخلافة، فأبى عليه السلام لأنه كان يعلم بنوايا المأمون، وجرت بين الطرفين في هذا الموضوع مخاطبات كثيرة استمرت زهاء شهرين، إصرار من قبل المأمون وامتناع من قبل الإمام عليه السلام. وعندما وجد المأمون أن لا سبيل له إلى ذلك، عرض على الإمام عليه السلام ولاية العهد فأجابه عليه السلام إلى ذلك وفق شروط فقبل المأمون وكتب عليه السلام: إني أدخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى ولا أقضي ولا أغيّر شيئاً فيما هو قائم وتعفيني من ذلك كلّه. فأجابه المأمون إلى كل شروطه، كما أنه دعا الناس إلى الدخول في بيعة الإمام عليه السلام وكتب بذلك إلى البلدان وضربت الدراهم والدنانير باسمه وخطب له على

---

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص٣٩.

المنابر، وما أن حلّ عيد الفطر حتى بعث المأمون إلى الإمام عليه السلام يطلب منه أن يصلي صلاة العيد بالناس لتطمئن قلوبهم بهذه الدولة المباركة فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي هذا الأمر.

فقال المأمون: إنما أردت بذلك أن ترسخ مسألة ولاية العهد في قلوب الجند والعامة.

ولمّا رأى الإمام إلحاح المأمون قال: إن أعفيتني من ذلك فهو أحبّ إليّ وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
فقال المأمون: اخرج كما تحب!

وفي صباح العيد اجتمع القوّاد والأعيان والأشراف على باب الدار ينتظرون خروجه، وقعد سائر الناس في الطرقات ينتظرون موكبه عليه السلام، كما أن كثيراً من النساء والأطفال كانوا قد صعدوا على السطوح لكي يشاهدوا عظمة الموكب وما أن طلعت الشمس حتى خرج الإمام الرضا عليه السلام وبالشكل الذي اشترطه على المأمون، فاغتسل ولبس عمامة بيضاء وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه وشمر ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت ثم أخذ بيده عكازه وخرج حافي القدمين، مشمّراً سراويله إلى منتصف الساق ولمّا رفع صوته قائلاً: الله

أكبر! ردد معه أصحابه التكبير بصوت واحد فتخيل الناس أن الأرض والسماء كانتا ترددان معه التكبير. فلمّا طلع الإمام عليه السلام على الناس بهذه الصورة وشاهده القوّاد أثّر ذلك في نفوسهم تأثيراً عظيماً فرموا سلاحهم وزينتهم وكانوا قد تزيّنوا بأحسن الزينة ولبسوا السلاح وركبوا مراكبهم وتهيؤوا بأبهى هيئة.

ثم وقف الإمام عليه السلام على باب الدار وقال بصوت مرتفع الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما ابتلانا.

وكرر الناس ما قاله الإمام عليه السلام بصوت مرتفع وبنغمة واحدة فلم يتمالكوا أنفسهم من البكاء فسالت الدموع وعلا الصراخ وهاجت أحاسيس الناس وتحرّكت نفوسهم فلم تمض على هذا الحال مدة حتى ضجت «مرو» ضجة واحدة وانفجر الجميع بالبكاء.

كان الإمام عليه السلام يقف بعد كلّ عشر خطوات وقفة ويكبّر الله أكبر أربع مرات والناس تردّد معه فكان يخيل للسامع أن السماء والأرض قد اشتركتا في الترديد معه. وقد بلغ من تهيّج أحاسيس الناس في ذلك اليوم أنهم نسوا الحياة الدنيا وتركوا كلّ مظاهر العظمة والأبهة وساروا مع الإمام عليه السلام بكل حرارة وشوق نحو المصلى.

وقد بلغ المأمون ذلك حيث أخبره به الفضل بن سهل قائلاً: إن الرضا عليه السلام بلغ المصلى وقد افتتن الناس به، والرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون وطلب منه الرجوع فعاد الإمام عليه السلام ولما التقى المأمون قال له: ألم أطلب منك أن تعفيني من هذا الأمر من قبل؟

٢٢ - الإصغاء لدعاء الأم

لم ينم تلك الليلة، إذ كان يصغي إلى دعاء أمه التي وقفت في محرابها خاشعة متضرعة. كانت الليلة ليلة جمعة وكان هو يراقب ركوع أمه وسجودها وقيامها وقعودها. ومع أنه كان طفلاً إلا أنه فطن إلى أن أمه انبرت تدعو للرجال وللنساء من المسلمين بالخير والسعادة وتذكرهم بأسمائهم وتطلب لهم الرحمة والبركة ولم تدع لنفسها، ولم تطلب ما كانت تطلبه لهم.

كانت الأم فاطمة الزهراء عليها السلام وكان الولد ابنها الحسين عليه السلام حيث أمضى ليلته في مراقبة أمه وهي تدعو، وانتظر أن تدعو لنفسها ليرى ما ستطلبه من الباري عزّ وجل. قضت الليل داعية ضارعة إلى أن تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولم يسمع الحسين عليه السلام أمه تدعو لنفسها قط، فبادرها

بالسؤال قائلاً: لِمَ لَمْ تدعي لنفسك يا أماه كما دعيت لغيرك؟ فأجابت: يا بني الجار ثم الدار[١].

٢٣ - أمام القاضي[٢]

شكا أحد الناس علي بن أبي طالب عليه السلام إلى عمر بن الخطاب في خصومة وقعت بينهما، وكان عمر أميراً للمؤمنين، فأحضرهما وقال لعلي عليه السلام: قف يا أبا الحسن إلى جانب خصمك فبدا التأثر على وجه الإمام علي.

فقال له عمر: أكرهت يا علي أن تقف إلى جانب خصمك؟

فقال الإمام علي عليه السلام: لا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيتك لم تسوّ بيني وبينه، إذ عظمتني بالتكنية ولم تكنّه.

٢٤ - في منى[٣]

كان الإمام الصادق عليه السلام مع بعض أصحابه بمنى، وقد اجتمعوا حوله، وكان بين أيديهم عنب يأكلون منه، فمرّ بهم

(١) بحار الأنوار، ج١٠ ص٢٥.
(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ص٤٩.
(٣) بحار الأنوار، ج١١ ص١١٦.

سائل وطلب منهم مساعدة، فتناول الإمام عليه السلام عنقوداً من العنب وأعطاه إياه، فرفض السائل أخذه قائلاً: إن كان درهم؟

فقال الإمام عليه السلام: يسع الله عليك، فذهب السائل ثم رجع وقال: هاتوا العنقود فقال الإمام عليه السلام: يسع الله عليك. ولم يعطه العنقود.

ولم تمض لحظات حتى مرّ عليهم سائل آخر وطلب المساعدة أيضاً فأعطاه الإمام عليه السلام مقداراً من العنب، فقال: الحمد لله رب العالمين الذي رزقني. فلما سمعه الإمام عليه السلام قال له: مكانك. ثم ملأ كفيه عنباً وناوله إياه فأخذه السائل قائلاً: الحمد لله رب العالمين. فقال له الإمام مكانك. ثم توجّه إلى أحد أصحابه وسأله: كم من الدراهم معك؟ فإذا معه نحو عشرين درهماً فأخذها الإمام عليه السلام وناولها للسائل. فنطق هذا بشكر الله للمرة الثالثة قائلاً: الحمد لله هذا منك وحدك لا شريك لك. وما أن سمع الصادق عليه السلام منه هذا حتى خلع قميصه وأعطاه السائل، وهنا قال السائل: الحمد لله الذي كساني وسترني ثم شكر الإمام عليه السلام ودعا له بقوله: يا أبا عبد الله جزاك الله خيراً. ثم انصرف. يقول أصحاب الإمام عليه السلام: ظننا أنه لو لم يدع له، لم يزل يعطيه، لأنه كلما كان يعطيه، حمد الله.

٢٥ - رافعو الأثقال[١]

مرّ رسول الله ﷺ بقوم يرفعون أحجاراً فقال: ما هذا؟ فقالوا: نختبر أشدّنا وأقوانا فقال: ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه عن قول الحق، وإذا مَلكْ لم يتعاط ما ليس له بحق.

٢٦ - المسلم الجديد[٢]

مما ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كان لرجل مسلم جار كافر، فكانا يتحدثان حول الإسلام أحياناً، ولم يزل المسلم يزيّن الإسلام في نظر جاره الكافر حتى أسلم. كان الوقت سحراً حينما سمع النصرانيّ الحديث الإسلام قرعاً على الباب، فتساءل: من الطارق؟

أنا فلان، وعرّف نفسه، فكان جاره المسلم.

---

(١) وسائل الشيعة ج٢ ص٤٦٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٩٤.

قال: ما حاجتك في وقت كهذا؟

فناداه أن توضأ بسرعة وارتد ثيابك حتى نذهب إلى المسجد لأداء الصلاة. توضأ الرجل النصراني الذي دخل الإسلام حديثاً وخرج مع رفيقه المسلم، ولأول مرة في حياته ذهب إلى المسجد.. كان الوقت يقترب من الفجر فصليّا كثيراً حتى حان وقت صلاة الصبح فأدّيا الفريضة وانشغلا بالدعاء حتى أضاء الصباح العالم بنوره، فأراد المسلم الجديد أن يذهب إلى منزله فقال له رفيقه المسلم:

- إلى أين؟

- أريد أن أعود إلى منزلي، لقد أدّينا فريضة الصلاة ولم يعد لنا من عمل.

- فيم العجلة، لنقرأ تعقيبات الصلاة حتى بزوغ الشمس.

فاستجاب المسلم الجديد ومكث مكانه وانشغل بذكر الله حتى بزغت الشمس، فنهض ليذهب فطلب صاحبه منه أن يقرأ القرآن حتى يرتفع النهار وأوصاه أن ينوي نيّة الصوم لذلك اليوم وقال له: أنت تعلم كم هو ثواب الصوم وفضيلته!

ولمّا حان وقت الظهر قال المسلم: اصبر قليلاً، إذ لم يبق بينك وبين الظهر إلّا قليل، ثم أدّى فريضة الظهر بعد دخول وقتها، وبعد أن أنهيا صلاة الظهر قال المسلم لرفيقه إنّ صلاة

العصر على وشك أن يحين وقتها وفضيلتها أن تؤدى على وقتها.

وبعد صلاة العصر قال المسلم: لم يبق من النهار شيء فأجبر رفيقه على البقاء حتى صلاة المغرب وبعد صلاة المغرب أراد المسلم الجديد أن يغادر المسجد إلى بيته فلم يوافق رفيقه المسلم حيث قال له: لم يبق أمامنا غير فريضة واحدة وهي فريضة العشاء فصلاها وذهب إلى منزله.

وفي سحر الليلة الثانية سمع بابه يقرع فسأل: من الطارق؟

- أنا جارك فلان، توضأ بسرعة والبس ثيابك حتى نذهب معاً إلى المسجد.

- أنا من دينك هذا قد استغنيت، اذهب وفتّش عن شخص أكثر بطالة مني، يستطيع أن يقضي وقته في المسجد، أنا إنسان فقير وصاحب عيال ويجب أن أعمل طلباً للرزق.

بعد أن نقل الإمام الصادق عليه السلام هذه الحكاية إلى أصحابه قال: وهكذا فإن هذا العابد الذي أدخل هذا المسكين في الإسلام هو الذي أخرجه منه، فلتكن لكم في ذلك عبرة فلا تضيّقوا على الناس.. فللناس طاقات وقابليات متفاوتة فيجب معاملتهم على ضوئها. أما علمتم أن إمارة بني أمية قامت بالسيف والعسف، وأنّ إمامتنا تقوم بالرفق والألفة والوقار

والتقيّة وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغّبوا الناس في دينكم وما أنتم فيه.

٢٧ - على مائدة الخليفة[1]

شريك بن عبد الله النخعي من الفقهاء المعروفين في القرن الثاني الهجري المشهور بالزهد والتقوى والعلم. وكان الخليفة المهدي العباسي يرغب في أن يفوّض له منصب القضاء، ولكنه كان يرفض ذلك ويتجنب مساعدة الظالم، فضلاً عن أنه كان يرفض طلب الخليفة العباسي في أن يكون معلماً لأولاده.

وذات يوم أرسل المهدي على شريك، وقال له: لابدّ أن تجيبني إلى واحدة من ثلاث: إما أن تتولى القضاء، أو تحدّث ولديّ وتعلمهما، أو تأكل معنا أكلة.

فكر شريك في الاختيارات الثلاثة ثم قال: الأكلة أخفهنّ عليّ، فأمر المهدي الطباخ بإعداد ألوان من الأطعمة الشهيّة، فلمّا فرغ شريك من غدائه قال القيّم على المطبخ للخليفة: لن ينجو الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً!

ولم تمض مدة طويلة حتى ولّي شريك منصب القضاء،

(١) مروج الذهب - طبع مصر - ص٣٤٧.

وصار معلماً لأولاد الخليفة وقد عيّن له مرتباً من بيت المال. وفي يوم ما حدث نزاع بين شريك ومدير المال حول مرتب شريك، فقال له مدير المال: إنك لم تبع براً.

فرد شريك: بلى والله لقد بعت أكبر من البر، لقد بعت ديني!!

٢٨ - شكاية الجار(١)

جاء رجل إلى النبي ﷺ وشكا إليه أذى من جاره، فقال له النبي ﷺ: اصبر لعله يغير طريقته. وبعد مدة جاءه مرة ثانية، فقال له النبي ﷺ: اصبر!

ثم جاء مرة ثالثة فقال له النبي ﷺ: إذا كان يوم الجمعة أخرج أثاث بيتك وضعه على قارعة الطريق حتى يراه من يذهب لصلاة الجمعة فإذا سألوك فأخبرهم الخبر. ففعل الرجل بوصية الرسول ﷺ فأتاه جاره معتذراً وقال له: ردّ متاعك إلى بيتك فلك الله عليّ أن لا أعود.

(١) أصول الكافي، ج٢ ص٦٦٨ - باب حق الجوار.

٢٩ - شجرة التمر[1]

روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إن سمرة بن جندب كان له عذق في حائط لرجل من الأنصار وكان منزل الأنصاري بباب البستان فكان يمرّ به إلى نخلته ولا يستأذن، فكلّمه الأنصاري أن يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة. فجاء الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه وأخبره الخبر. فأرسل الرسول إلى سمرة وأخبره بقول الأنصاري وشكايته، ثم قال له: إذا أردت الدخول فاستأذن، فأبى، فلما أبى ساومه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله، فأبى أن يبيع، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لك بها عذق بمدّ لك في الجنّة فلم يقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصاري: اذهب واقلعها وارم بها إليه، فإنه لا ضرر ولا ضرار.

٣٠ - في بيت أم سلمة[2]

كانت الليلة ليلة أم سلمة، فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيتها

(١) وسائل الشيعة، ج٣ ص٣٢٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، الطبعة القديمة ص٢٠٠ - (باب مكارم أخلاقه وسيرته وسنته).

ليمضي ليلته هناك، وعندما أسدل الظلام سدوله وضرب السكون سرادقه على البيت، نهض النبي ﷺ من فراشه دون أن تحسّ به أم سلمة، وانتحى زاوية من البيت، فلمّا انتبهت دهشت لعدم وجوده في الفراش، فداخلها ما يداخل النساء عادة، فهبّت تطلبه في جوانب البيت فألفته قائماً في زاوية منه يدعو ويبكي ويقول:

اللّهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً، اللّهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً، اللّهم ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً، اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً.

فأثرت فيها حالة الرسول تلك تأثيراً شديداً، فانفجرت باكية، فانتبه النبي ﷺ لبكائها، فذهب إليها وسألها: ما يبكيك؟

فأجابت: لِمَ لا أبكي؟! أنت بالمكان الذي أنت به من الله - ومع هذا تسأله أن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً، فكيف بي؟

فقال ﷺ: يا أم سلمة، وما يؤمنني وقد وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان.

٣١ - السوق السوداء[1]

عندما ازدادت عائلة الإمام الصادق عليه السلام وأصبح القيام بمهامها ثقيلاً، صمم عليه السلام أن يشتغل بالتجارة، فأعطى إلى مولاه مصادف ألف دينار وقال له: تجهّز حتى تسافر إلى مصر. أخذ مصادف رأس المال واشترى به بضاعة لها سوق رائجة عند أهل مصر واتجه إلى هناك مع جماعة من التجار.

عندما بلغ التجار أبواب مصر صادفوا قافلة خارجة منها فسألوا تجارها عن سوق بضاعتهم فأخبروهم بنفاد البضاعة وبحاجة الناس إليها ففرح التجار القادمون إلى مصر واتفقوا أن لا يبيعوا إلّا بربح مضاعف.

وهكذا دخلوا مصر فرحين لما وجدوا من حاجة الناس لبضاعتهم فلم يبيعوها إلّا بما كانوا قد اتفقوا عليه فأوجدوا من جراء ذلك سوقاً سوداء لبضاعتهم.

رجع مصادف إلى المدينة فرحاً بما عاد به من ربح مضاعف، فلما دخل على الإمام الصادق عليه السلام وأعطاه رأس المال مع الربح، سأله الإمام عن كيفية كسب هذا الربح الكثير، فأخبره بما جرى من لقاء القافلة الخارجة من مصر وكيف أنهم

---

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١٢١.

علموا بشحّة البضاعة وحاجة الناس إليها وكيف أنهم اتفقوا على البيع بالربح المضاعف.

فقال الإمام عليه السلام: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألّا تبيعوهم إلّا بربح الدينار ديناراً، ثم أخذ ألف دينار فقط وقال: هذا رأس المال ولا حاجة لنا في هذا الربح ثم أضاف قائلاً: يا مصادف مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال.

٣٢ - المتخلف عن القافلة(١)

صوت ضعيف قادم من بعيد، أخذ يطرق أسماع القافلة.. كان صاحبه يستغيث من حادث ألمَّ به، طالباً المساعدة، فلقد بركت ناقته من شدة ما أصابها من الإجهاد والظمأ، فاضطر إلى الترجل علّه يستطيع إنهاضها من جديد.

في هذا الوقت وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كان يسير في أخريات القافلة يساعد العاجز ويغيث الضعيف. فلما سمع استغاثة الشاب أسرع إليه وسأله: من أنت؟

- أنا جابر يا رسول الله.

- ما شأنك؟

(١) بحار الأنوار، ج٦ ص٢٠٤ - الطبعة القديمة.

- بركت ناقتي ولم أفلح في حثّها على المسير.

- أمعك عصا؟

- نعم يا رسول الله.

- هاتها.

فلما أخذ النبي ﷺ العصا، ضرب الناقة ثم أنهضها ثم أناخها وقال لجابر اركب. ركب جابر وأخذ يسير مع النبي ﷺ والنبي ﷺ يلاطفه ويمازحه فسأله:

ما ترك أبوك عبد الله من الولد؟

- سبع نسوة (أي سبع فتيات).

- أعليه دين؟

- نعم.

- إذا قدمت المدينة فقاطع الغرماء، فإن أبوا فانتظر فإذا حضر جذاذ نخلكم فأذّنّي (أي أخبرني).

- إن شاء الله.

- هل تزوجت؟

- نعم.

- بمن؟

- بفلانة بنت فلان، كانت بالمدينة.

- هلّا تزوجت بفتاة تلاعبها وتلاعبك؟

- كان عندي نسوة خرق فكرهت أن آتيهن بامرأة خرقاء، فرأيت أن هذه أجمع لأمري.

- أصبت وأحسنت. بكم اشتريت جملك؟

- بخمس أوراق من الذهب.

- بهذه القيمة اشتريناه فإذا بلغنا المدينة فتعال وخذ قيمته، ولمّا وصلوا المدينة أخذ جابر جمله وذهب إلى النبي ﷺ ليعطيه ما وعده. فقال النبي ﷺ لبلال: اعطه خمس أوراق من ذهب يستعين بها في دين أبيه - عبد الله - وزده ثلاثاً واردد عليه جمله. ثم قال لجابر: هل قاطعت غرماء أبيك؟

- لا.

- أترك أبوك وفاء دينه.

- لا.

- لا عليك، إذا حضر جذاب نخلكم فاذني.

فلما حضر جذاذ النخل أذن جابر النبي ﷺ، فدعا لهم فجذّذوا واستوفى كل غريم ما كان يطلب تمراً، وبقي لجابر من التمر ما يكفيه وأكثر.

٣٣ - شسع النعل[1]

ذهب الإمام الصادق عليه السلام ذات يوم مع نفر من أصحابه إلى قريب له يريد تسليته، فبينما كان يمشي مع أصحابه إذ انقطع شسع نعليه فأخذه بيده ومشى حافياً، فلما رآه ابن أبي يعفور يفعل ذلك وكان من كبار صحابته عليه السلام خلع شسع نعله وناوله إلى الإمام عليه السلام كي يمشي بنعل، فأعرض عنه الإمام غير راض بما فعله وقال: إن صاحب المصيبة أولى بالصبر عليها.

٣٤ - الفرزدق وهشام[2]

مع أن هشام بن عبد الملك كان ولياً للعهد في ذلك الوقت الذي بلغت فيه الدولة الأموية أوج عظمتها وتسلطها. إلّا أنه لم يستطع الوصول إلى «الحجر الأسود» بعد أن أتم طواف الكعبة بالرغم من محاولاته اليائسة.

كان حجاج بيت الله الحرام يرتدون لباساً واحداً هو لباس الإحرام، وكانوا مشغولين بأعمال واحدة هي أعمال الحج، وكانوا غارقين بأحاسيسهم الأخروية التي تشغلهم عن كل

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١١٧.
(٢) بحار الأنوار، ج١١ ص٣٦.

شخصية ومقام فكانوا بذلك سواسية لا يفرق بينهم شيء.

أما هشام فكان قد جلت معه الرجال والحشم ليحفظوا له أبهته وفخامته، وكان هؤلاء صاغرين إزاء عظمة الحج وسموّه المعنوي.

كرّر هشام محاولته اليائسة للمس الحجر ولكنه رجع خائباً لشدة الازدحام واجتماع الخلق، فأمر بأن ينصب له عرش على مكان مرتفع حتى يقيّظ له النظر إلى الحجيج وليملأ عينيه وليتفرج على هذا الاجتماع المهيب.

وبينما هو وحاشيته على هذه الحال إذ شاهد رجلاً يعلو سيماءه التقوى والورع، يغطي جسمه قميص أبي مثل سائر الحجاج، بدأ بالطواف حول الكعبة ثم توجه بخطوات مطمئنة يريد لمس الحجر الأسود، فلمّا رآه الناس انفرجوا قسمين وتنحّوا عنه هيبة وجلالاً.

دهش الشّاميّون لهذا المنظر العجيب ولم يستطع أحدهم أن يمسك نفسه عن أن يسأل هشاماً قائلاً: من هذا يا أمير المؤمنين؟

فأجاب هشام: لا أعرفه.

والحقيقة أن هشاماً كان يعرفه حقّ المعرفة الّا انه قال ذلك حتى لا يرغب أهل الشام به.

ترى من الذي يملك الجرأة في تعريف هذا الشخص..
ومن هذا الذي لا يخاف سيف هشام وسطوته، فيقدم على تعريف الرجل الشامي بهذا الرجل؟ لم يوجد من هو أشجع من الفرزدق الذي لم يبال بما سيلحقه من تشرّد وأذى إن هو أجاب، فقال: أنا أعرفه!

فقال الشاميّ: من هو يا أبا فراس؟

فأنشد الفرزدق قصيدته الغراء في مدح الإمام زين العابدين، علي ابن الحسين عليه السلام والتي منها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم

فغضب هشام لسماع هذه القصيدة وقال للفرزدق: ألا قلت فينا مثلها؟ فقال الفرزدق: هات جدّاً كجدِّه وأباً كأبيه وأماً كأمه حتى أقول فيك مثلها؟ فأمر هشام بحبسه في (عسفان) بين مكة والمدينة فحبس ولكنه لم يأبه بذلك، فلما بلغ خبره علي بن

الحسين ﷺ بعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال:

يا بن رسول الله ما قلت فيك الذي قلت إلّا غضب الله ورسوله وما كنت أريد أن أرزق عليه شيئاً. فردها الإمام ﷺ ثانية إليه وقال: بحقي عليك، تقبلها فقد رأى الله مكانك وعلم نيّتك عند ذلك قبلها الفرزدق.

٣٥ - البزنطي[1]

كان أحمد بن محمد بن أبي نصر البيزنطي عالماً كبيراً من علماء عصره، وكان يداخله شك في إمامة الرضا ﷺ، ولكنه اعتقد بها أخيراً بعد أن جرت بينه وبين الإمام ﷺ مكاتبات ومناقشات وأسئلة وأجوبة.

وذات يوم قال للامام ﷺ: يا بن رسول الله أشتهي أن تدعوني إلى دارك في وقت نعلم أنه لا مفسدة لنا في الدخول عليكم فيه من الأعداء، لأستفيد منك وأنهل من علمك. فأرسل له الإمام ﷺ مطيته ذات يوم، وكان الوقت أول الليل ودعاه إلى بيته.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٢ ص١٤.

ركب البيزنطي المطية واتجه إلى بيت الإمام عليه السلام، وجلس معه هناك إلى أن مضى شطر من الليل طويل كان البيزنطي خلاله يعرض على الإمام مشاكله ويطرح عليه أسئلته والإمام عليه السلام يحلّها ويجيب عليها، فلما حلّ وقت النوم قال الإمام عليه السلام لغلامه: هات الثياب التي أنام فيها لينام فيها البيزنطي؟ فرح البيزنطي كثيراً وتمنى لو أن له أجنحة يحملنه إلى الجو فلم يعد جلده يسعه ولا رجلاه يحملانه لشدة ما هو فيه من فرح، فقال في نفسه: هل هناك من هو أسعد مني أنا الذي بعث الإمام بمطيّته إليّ وجلس معي تلك الجلسة وها هو يأمر لي بثياب نومه.

كان الإمام عليه السلام قد لاحظ سيماء الغرور والانتشاء بادية على البيزنطي، وكان قد اتكأ على يديه يريد النهوض، إلّا أنه جلس ثانية وقطع سلسلة أفكار البيزنطي بقوله: يا أحمر لا تفخر على أصحابك بذلك فإن صعصعة بن صوحان مرض فعاده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووضع يده على جبهته وجعل يلاطفه فلما أراد النهوض قال: يا صعصعة لا تفخر على إخوانك بما فعلت لك فإني إنما فعلت ما فعلت لتكليف يجب عليّ.

٣٦ - عقيل وعلي[1]

قدم عقيل على أخيه عليّ أيام خلافته فقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: اكس عمك، فكساه قميصاً ورداء من ملابسه الخاصة، فلما حضر العشاء فإذا هو خبز وملح فقال عقيل: ما هذا فقال عليه السلام: أو ليس هذا من نعمة الله، ولله الحمد.

فقال عقيل: أعطني ما أقضي به ديني وعجل سراحي حتى أرحل عنك.

قال عليه السلام: فكم دينك؟

قال: مائة ألف درهم.

فقال عليه السلام: لا والله ما هي عندي ولا أملكها ولكن أنتظر حتى الصباح كيما يخرج عطائي فأواسيكه ولولا أنه لا بدّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه.

فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوّفني إلى عطائك، وكم عطاؤك وما عساه يكون لو أعطيته كلّه؟

فقال عليه السلام: ما أنا وأنت فيه إلّا بمنزلة رجل من المسلمين.. وفي ذلك الوقت، كان الإمام عليه السلام وعقيل جالسين فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق،

---

(١) بحار الأنوار - طبعة تبريز - ج٩ ص٦١٣.

فقال علي عليه السلام لأخيه: إن أبيت ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسره وخذ ما فيه، فقال عقيل: وما في هذه الصناديق؟

قال عليه السلام: فيها أموال التجار.

قال: أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكّلوا على الله ووضعوا أموالهم فيها؟

فردّ الإمام عليه السلام قائلاً: أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكلوا على الله فيه؟

ثم أضاف عليه السلام قائلاً: فإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا معاً إلى الحيرة فإن بها تجاراً ميسرين.. ندخل على بعضهم فنأخذ ماله.

فقال عقيل مستغرباً: أو سارقاً جئت حتى أفعل هذا؟

فقال عليه السلام: نسرق من واحد خير من أن نسرق من المسلمين جميعاً.

٣٧ - الحلم المرعب(١)

الحلم الذي رآه أرعبه كثيراً إلى درجة أن الصور المخيفة

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٥٨٢.

التي رآها في الحلم ظلّت تتجسد أمامه، فلم يتمالك نفسه من الخوف، فالتجأ إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: رأيت فيما يراه النائم أن شبحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب يمتطي فرساً من خشب ويلوّح بسيفه، فاستيقظت فزعاً مرتعداً وهنا أنا جئتك لعلّي أجد عندك تفسيراً لهذا الحلم.

فقال الإمام عليه السلام: إنك تريد أن تسلب ملك رجل، فاتق الله الذي خلقك ثم يميتك وانصرف عن تصميمك.

فقال الرجل: أشهد أنك قد أوتيت علماً واستنبطته من معدنه، إن رجلاً من جيراني عرض عليّ ضيعته فهممت أن استحوذ عليها عنوة لما علمت أن ليس لها طالب غيري.

٣٨ - في ظلة بني ساعدة[1]

كان الظلام قد خيّم على المدينة بجناحيه السوداوين، والمطر قد بلّل وجه الأرض بدموعه المنهمرة، فانتهز الإمام الصادق عليه السلام ظلمة الليل وهدوئه فخرج من بيته قاصداً (ظلة بني ساعدة). وشاء القدر أن يشاهده في تلك الساعة (معلّى بن خنيس) وكان من أصحابه ومحبيه فتساءل في نفسه: أين يريد

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٩.

الإمام في هذا الليل يا ترى؟ والله لا أدعه وحده في ظلمة الليل الموحشة، فمشى خلف الإمام يراقبه والإمام عليه السلام لا يعلم به. وبينما هو يقتفي أثر الإمام إذ سمع فجأة أن شيئاً سقط من كتف الإمام عليه السلام وتبعثر على الأرض، وسمع الإمام يقول: بسم الله اللهم ردّه إلينا.

فتقدم من الإمام وسلّم عليه فعرفه الصادق عليه السلام من صوته فقال له: أمعلّى أنت؟

- نعم جعلت فداك، وحانت منه التفاتة إلى الأرض، فإذا هو بخبز كثير قد تناثر عليها.

فقال الإمام عليه السلام: التمس بيدك الأرض فما وجدت من شيء فهاته.

وبعد أن جمع معلى الخبز من على الأرض وناوله إلى الإمام، علم أن الإمام عجز عن حمل جراب الخبز فسقط منه على الأرض، لذلك استأذن من الإمام أن يحمل الجراب بدلاً عنه.

فقال الإمام عليه السلام: لا، أنا أولى به منك، ولكن تعال معي.

سارا معاً والإمام يحمل الجراب على كتفه حتى بلغا ظلة بني ساعدة، فإذا هم بقوم فقراء نيام، لأن الظلة كانت ملجأ

الفقراء ومأوى المساكين والضعفاء. فجعل الإمام يدسّ الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخرهم فانصرف هو ومعلى.

قال الإمام عليه السلام لمعلّى: صدقة الليل تطفئ غضب الربّ وتمحو الذنب وتهون الحساب.

٣٩ - تحية اليهود[١]

دخل يهودي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة جالسة عنده، وبدل أن يقول (السلام عليكم) قال: (السام عليكم) يعني (الموت لكم) ولم تمض فترة حتى دخل آخر وقال مثلما قال الأول فردّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ردّ على رفيقه ثم دخل ثالث فقال مثلما قال الأول والثاني فردّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه كما ردّ على صاحبيه.

غضبت عائشة لهذا المشهد غضباً شديداً لأنه لم يكن عفواً ووليد المصادفة، بل كان تدبيراً لأجل إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: (عليكم السام) والعذاب واللعنة يا معشر اليهود، يا أخوة القردة والخنازير.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا عائشة إن الفحش لو تجسد لكان على أقبح صورة، الرفق لم يوضع على شيء قط إلّا زانه ولا يرفع

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١١٠.

عنه قط إلّا شانه. فلماذا غضبت هذا الغضب الذي أفقدك اتزانك؟

- يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟

- بلى، ولكن أما سمعت ما رددت به عليهم، فقلت: عليكم، وحسبهم بهذا جواباً[١].

٤٠ - رسالة من أبي ذر[٢]

فتح أبو ذر الرسالة التي وصلته فوجدها قادمة من مكان بعيد، ومن رجل يعرف أبا ذر وشخصيته ومكانته من النبي ﷺ واطلاعه الواسع بأحاديث الرسول ﷺ ونصائحه وحكمه، ولذا فهو يطلب في رسالته نصيحة من أبي ذر جامعة.

عندما انتهى أبو ذر من قراءة الرسالة كتب في جوابها: لا تعاد أحبّ الناس إليك ولا تسئ إليه. فلما وصل الجواب إلى الرجل وقرأه لم يفهم منه شيئاً، فتساءل في نفسه: ماذا يريد أبو ذر بهذا، لا تعاد أحبّ الناس إليك؟ إن هذا - لعمري - لمن أوضح الواضحات، أفيعقل أن يعادي الإنسان أحبّ محبوب لديه وأن يسيء إليه فالذي أدريه أنه لا يسيء إليه فحسب بل

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٢١٢.

(٢) إرشاد الديلمي.

ويفديه بماله وروحه. ثم فكّر في نفسه مليّاً وقال: يجب أن لا أنسى شخصية كاتب هذه الوصية، إنه أبو ذر، إنه لقمان هذه الأمّة وحكيمها، فلأطلب منه توضيحاً لما أوصاني به فكتب إليه رسالة أخرى طالباً منه توضيح ما كتب.

فكتب أبو ذر في الجواب: إنّ مقصودي من أحبّ وأعزّ الأشخاص لديك هو نفسك، ولست أقصد شخصاً آخر، فأنت تحب نفسك أكثر مما تحب الآخرين ولذلك قلت لك: لا تسئ إلى أحبّ الناس إليك ومعناه أن لا تسيء إلى نفسك، ألا تعلم بأن كلّ ذنب وكلّ جرم يرتكبه الإنسان يعود ضرره على نفسه؟

٤١ - الأجر غير المقطوع[1]

خرج سليمان بن جعفر الجعفري مع الإمام الرضا عليه السلام لإنجاز بعض الأعمال، فلمّا انقضى النهار وجرّت الشمس أذيالها نحو الغروب، أراد سليمان أن يذهب إلى منزله فقال له الإمام عليه السلام: تعال معي وبت عندي الليلة. فلبّى سليمان رغبة الإمام عليه السلام وذهب معه إلى بيته.

قال سليمان: فلما دخل الإمام عليه السلام إلى البيت وجد غلمانه

(١) بحار الأنوار، ١٢ ص٣١.

يبنون بالطين وفضلات الدواب ومعهم رجل أسود فسألهم: من هذا الرجل الذي معكم؟ فقالوا: يعاونا ونعطيه شيئاً.

قال عليه السلام: قاطعتموه على أجره؟

- لا، هو يرضى منا بما نعطيه.

فغضب الإمام عليه السلام غضباً شديداً وأقبل عليهم بالضرب بالسوط.

قال سليمان فتقدمت نحوه وقلت له: جعلت فداك لم تدخل على نفسك الأذى وتزعجها.

فقال عليه السلام: إني قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرة، وهو أن لا يعمل معهم أحد حتى يقاطعوه أجرته، واعلم انه ما من أحد يعمل لك شيئاً بدون مقاطعة، ثم زدته ثلاثة أضعاف على أجرته إلّا ظنّ أنك قد نقصته أجرته، وإذا قاطعته ثم أعطيته أجرته حمدك على الوفاء فإن زدته حبّة عرف ذلك لك ورأى أنك قد زدته.

٤٢ - أحر أم عبد؟[١]

كانت أنغام المعازف والمغنين تلعب بالرؤوس التي لعبت الخمرة بها لعبتها.

---

(١) الكنى والألقاب، ج٢ ص١٥٠.

وفي الأثناء فتح باب الدار، وأطلت جارية من البيت لترمي بالقاذورات في الطريق فصادفت رجلاً ماراً من هناك وقد بدت على سيمائه آثار العبادة والورع فسألها: صاحب هذا البيت حر أم عبد؟

- حر.

- صدقت فلو كان عبداً لخاف من مولاه.

ولمّا دخلت البيت، كانت قد أبطأت بسبب حديثها مع الرجل، فسألها مولاها: ما أبطأك؟

فقالت: رجل كان ماراً في الطريق تبدو عليه آثار الصلاح والتقوى، سألني بكذا وأجبته بكذا.

فلمّا أنهت حديثها فكّر مليّاً فيما نقلته إليه سيما في هذه الجملة لو كان عبداً لخاف من مولاه. حيث وقعت على قلبه موقع السهم. فخرج حافياً يريد الرجل فلما وصل إليه وجده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فتاب على يده معتذراً ولم ينتعل من يومه ذاك حتى مات.

كان قبل ذلك اليوم يعرف بأبي نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي وبعده صار يعرف بـ (بشر الحافي).

كان الحارث قبل ذلك من أصحاب المعازف والملاهي ولكن قول الإمام عليه السلام أثر في نفسه وكان سبباً إلى توبته فأصبح عارفاً عابداً زاهداً.

٤٣ - في الميقات(١)

حجّ مالك بن أنس فقيه المدينة مرة مع الإمام الصادق عليه السلام فلمّا وصلا الميقات وارتديا ثياب الإحرام وشرعا بالتلبية واستوت بالإمام عليه السلام راحلته، حانت التفاتة من مالك فوجد حال الإمام عليه السلام انقلبت فكلّما همّ بالتلبية ارتج عليه فلا يخرج الصوت من فمه إلى أن بلغ به الضعف حداً كاد أن يسقط معه عن راحلته فتقدم إليه مالك وقال: يا بن رسول الله لا بدّ لك من أن تلبّي. فقال عليه السلام: يا بن أبي عامر كيف أجسر أن أقول لبيك اللهم لبيك وأنا أخشى أن يقول لي عزّ وجل لا لبيك ولا سعديك.

٤٤ - ثمر النخل(٢)

جرياً على العادة، خرج الإمام علي عليه السلام يوماً إلى خارج المدينة يبتغي الفلاحة في بستانه وكان يحمل وسقاً - كيساً من نوى - فصادف في طريقه رجلاً.

فقال له الرجل: ما هذا الذي تحمله يا أبا الحسن؟

---

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١٠٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢ ص٥٣١، بحار الأنوار، ج٩ ص٥٩٩.

- مائة ألف عذق - نخلة - إن شاء الله.

ذهب الإمام عليه السلام وغرس جميع ما كان يحمله في الكيس من النوى وبعد أن تعهدها مدة من الزمن أصبحت نخلاً يانعاً.

٤٥ - ثمرة العمل(١)

مرّ علي بن حمزة البطائني على الإمام الكاظم عليه السلام وهو يعمل في أرضه ويعدها للزراعة بكل جدّ ونشاط بحيث كان يتصبب عرقاً، مما دعا علي بن أبي حمزة إلى سؤاله: جعلت فداك، أين الرجال؟ لماذا لا تفوّض هذا العمل إلى الآخرين؟

- ولم أفوضه إلى غيري؟ يا علي إن أنا عملت بيدي فقد عمل بيده من هو خير مني ومن أبي.

- من هو؟

- رسول الله وأمير المؤمنين، وآبائي كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم.

والعمل هو حرفة كلّ الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين.

(١) بحار الأنوار ١١ ص٢٦٦، وسائل الشيعة ج٢ ص٥٣١.

٤٦ - الصداقة التي قطعت[1]

لعله لم يخطر ببال أحد بأن هذه الصداقة سوف تقطع إلى الأبد وإن هذين الرفيقين المتلازمين سينفصلان إلى الأبد. فالناس كانوا يعرفون أحد الصديقين باسم الآخر أكثر مما يعرفونه باسمه الحقيقي فكانوا ينادونه برفيق الإمام الصادق عليه السلام.

وذات يوم دخل الصديقان سوق الحذائين، وكان بمعيتهم غلام رفيق الإمام، كان يمشي خلفهم وفجأة التفت رفيق الإمام إلى الوراء فلم ير غلامه، فمشى عدة خطوات ثم التفت ثانية فلم يجد غلامه أيضاً، ونظر خلفه للمرة الثالثة فلم يعثر على الغلام، فلقد كان مشغولاً بالنظر إلى ما في السوق، ولما أعاد الكرّة وقع نظره على غلامه فقال له: يا بن الفاعلة أين كنت؟ فلمّا سمع الإمام الصادق عليه السلام هذا الكلام منه استهجنه ورفع يده وحزب بها جبهته وقال: سبحان الله تقذف أمه. كنت أرى أن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع.

فقال: جعلت فداك يا بن رسول الله - إن أمه سندية مشركة.

فقال عليه السلام: فلتكن أمه كافرة، أما علمت بأن لكلّ أمة

(١) وسائل الشيعة ج٢: ٤٨٧ - الكافي ج٢ «باب النداء» ص٣٢٤.

نكاحاً، وأن أبناءهم ليسوا بأولادنا ثم قال له إليك عني.

ولم يشاهد الإمام عليه السلام بعد ذلك ماشياً مع رفيقه حتى فرّق الموت بينهما.

٤٧ - التهوّر[١]

كان ابن المقفع مع حكمته ومع ما له من فضل وبيان، سليط اللسان جريئه، بحيث إن لسانه وتهوره قتلاه.

حدث أن كتب ابن المقفع كتاب أمان لعبد الله بن علي عم المنصور، كان في جملته: ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله أو بطن غير ما ظهر أو تأول في شيء من شروط الأمان فنساؤه طوالق ودوابه حبّس وعبيده وماؤه أحرار والمسلمون في حلّ من بيعته. فاشتد ذلك على المنصور لما وقف عليه وسأل: من الذي كتب له الأمان فقيل له عبد الله بن المقفع كاتب عمّيك عيسى وسليمان ابني علي بالبصرة.

فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سفيان بن معاوية يأمره بقتله. وكان سفيان يتحيّن الفرص للانقضاض على ابن المقفع لأنه كان يعبث ويستخف به دائماً، فلقد قال لسفيان ذات مرة:

(١) شرح ابن أبي الحديد - طبع في بيروت ج٤ ص٣٩٨.

يا بن المغتلمة. وكان يعتصم بعيسى وسليمان منه فكتمها سفيان في نفسه. فلما كوتب في أمره بما كوتب، صمم على قتله، فأرسل عليه جماعة من أهل البصرة يطلبونه، فجيء به فأدخل به إلى حجرة في دهليز وبقي غلامه ينتظره على دابته في باب سفيان، فصادف ابن المقفع في تلك الحجرة سفيان بن معاوية وعنده غلمانه وتنور نار يسجر، فبادره سفيان بالقول: أتذكر يوم قلت كذا، أمي مغتلمة؟ لأقتلنك، فقتله قتلة لم يقتل بها أحداً ثم قطع أعضاءه وألقاها في النار حتى أتى على جميع جسده، ثم خرج إلى الناس وكلّمهم، فلما خرجوا من عنده تخلّف غلام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج فمضى وأخبر عيسى بن علي وأخاه سليمان بما جرى فخاصما سفيان في أمره لدى المنصور وقامت البيّنة العادلة أن ابن المقفع دخل دار سفيان حيّاً ولم يخرج منها وقامت الشهادة وطلب سليمان وعيسى القصاص، فقال المنصور: أرأيتم إن قتلت سفيان بابن المقفع ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب - وأومأ إلى باب خلفه، من يهب نفسه لي حتى أقتله بسفيان؟ فسكتوا ورفع الأمر وأضرب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها فذهب دمه هدراً.

٤٨ - الهجاء[1]

كان ابن الرومي - علي بن العباس البغدادي - شاعراً معروفاً كثير الهجاء واتفق أن كان حاضراً في مجلس الخليفة المعتضد هو والوزير قاسم بن عبيد الله. كان ابن الرومي هجّاء لا يخشى أحداً وكان الوزير يخشى لسانه وينتهز الفرصة للتنكيل به ولكنه لم يكن يظهر ذلك. إلّا أنه وجد في هذا المجلس الفرصة سانحة فأمر أن يدسّوا السّم في طعام ابن الرومي، فلمّا تناول الرومي طعامه علم بأن الوزير قاسم قد ظفر بمراده فقام يريد الخروج فقال له الوزير: إلى أين تذهب يا بن الرومي؟

- إلى المكان الذي أرسلتني.

- بلّغ تحياتي إلى أبي وأمّي.

فقال ابن الرومي: أنا لا أذهب إلى جهنم حتى أراهما فأبلغهما تحياتك ثم ذهب إلى بيته حيث كان ينتظره أجله.

٤٩ - الشريكان[2]

كان إخلاص هشام بن الحكم وعبد الله بن يزيد الإباضي

(١) تتمة المنتهى، ج٢ ص٤٠٠.

(٢) مروج الذهب - الطبعة المصرية - ج٢ ص١٧٤.

ومودتهما لبعضهما موضع إعجاب أهل الكوفة ومضرباً للمثل، كانا خرّازين شريكين في حانوت يملكانه.

وأكثر ما كان يثير عجب الناس أنهما لم يختلفا فيما بينهما قط، مع اختلافهما التام في العقيدة. فقد كان هشام من متكلمي الشيعة الإمامية وعلمائهم ومن خواص الإمام الصادق عليه السلام. وكان عبد الله ابن يزيد من علماء الإباضية المشهورين ومع أنهما كانا قطبين مختلفين من حيث العقيدة إلّا أنهما لم يزجّا عقائدهما المذهبية في شؤون حياتهما الأخرى.

والشيء العجيب في ذلك أن أصحاب هشام بن الحكم كانوا يختلفون إليه وهو في الحانوت يأخذون منه استيضاحات عقائدهم الدينية والمذهبية وعبد الله يسمع ذلك ولا يبدي أية مخالفة، وكذلك الإباضية كانوا يختلفون إلى صاحبهم يأخذون عقائدهم منه وهشام يسمع ولا يظهر أية مخالفة.

وذات يوم قال عبد الله لهشام: أنت تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة، وقد أحببت أن تنكحني ابنتك فاطمة!

فأجابه هشام قائلاً: إنها مؤمنة.

فسكت عبد الله ولم يعوده في شيء من ذلك واستمرا في محبتهما وشراكتهما حتى فرّق الموت بينهما.

٥٠ - منع شارب الخمرة[١]

روى الشقراني - مولى رسول الله ﷺ - قال: خرجت أبتغي العطاء أيام المنصور وما لي شفيع، فوقفت على الباب متحيراً لا أعرف أحداً، وبينا أنا على هذه الحال، إذ رأيت جعفر بن محمد عليه السلام مقبلاً فذكرت له حاجتي فدخل وخرج وإذا بعطائي بكمّه فناولني إياه وقال: إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منّا، وإن القبيح من كل أحد قبيح وانه منك أقبح لمكانك منّا، وإنّما قال له جعفر عليه السلام ذلك لأن الشقراني كان يشرب الخمر. فمن مكارم أخلاق جعفر عليه السلام أنه رحّب به وقضى حاجته مع علمه بحاله ووعظه على وجه التعريض، فخجل الشقراني ولام نفسه على أعماله.

٥١ - ثوب الخليفة[٢]

ارتقى الخليفة عمر بن عبد العزيز المنبر يوماً من الأيام، وخطب بالناس، وفي أثناء خطبته انتبه الأشخاص الذين كانوا جالسين بالقرب من المنبر إلى أنه يمسك ثوبه بين الحين والآخر

---

(١) الأنوار البهيّة ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) مقدمة ترجمة كتاب (ينابيش) بقلم محمد تقي شريعتي.

ويحرّكه مما أدّى إلى تساؤل الحضور: لماذا يحرّك الخليفة ثوبه أثناء الخطبة؟

وبعد أن انتهى الخليفة من خطبته اتضّح أنه كان يريد أن يجفف ثوبه لأنه كان قد غسله، ولمّا لم يكن يملك غيره، فقد اضطر إلى أن يلبسه لمّا يجف بعد.

---

٥٢ - الشاب اليقيني[١]

ذهب النبي ﷺ إلى المسجد ليؤدي صلاة الفجر فلمّا أتمّ الصلاة بالناس كان الظلام قد سحب أثوابه خوفاً من أن يحرقها وهج الصباح ولمّا أوشك الرسول ﷺ على مغادرة المسجد إذا بشاب مصفر اللون قد ضعف جسمه ونحف، وغارت عيناه في رأسه.

فسأله رسول الله ﷺ: كيف أصبحت يا فلان؟

فأجاب الشاب: أصبحت موقناً يا رسول الله.

فتعجب الرسول من قوله وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟

فقال الشاب النحيل: إن يقيني يا رسول الله هو الذي

---

(١) أصول الكافي، ج٢ ص٥٣ باب حقيقة الإيمان واليقين.

أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ نهاري فزهدت نفسي في الدنيا وما فيها فكأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتمتعون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مستغيثون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي.

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه وقال: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان. ثم أوصى الشاب قائلاً: التزم ما أنت عليه.

فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في إحدى غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة أشخاص فكان هو العاشر.

---

٥٣ - مهاجرو الحبشة[1]

أخذ عدد المسلمين يزداد باطّراد، إذ لم تفلح قريش بضغطها على المسلمين في صدهم عن دينهم الجديد بل لم تستطع الوقوف إزاء تيار المسلمين الجارف. فتعصّب المسلمين

---

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص٣٥٦.

لدينهم، وصبرهم على ما يلاقونه من الأذى والعذاب كان يثير غضب قريش ويحملها على التشدّد في أذيتهم وتعذيبهم.

لمّا رأى الرسول ﷺ بأن المسلمين في مهلكة لا نجاة لهم منها إلّا بالهجرة، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، باعتبار أن حاكمها النجاشي كان رجلاً عادلاً وبإمكانهم أن يقيموا شعائرهم الدينية بحرية تامة تحت ظل حكومته.

هاجر المسلمون إلى الحبشة واطمأنوا بأرضها وأصابوا داراً وقراراً وعبدوا الله بكل حرية لا يؤذون ولا يسمعون ما يكرهون.

لمّا بلغ ذلك قريشاً خافوا أن يتسع نفوذ الإسلام هناك، فأتمروا بينهم وصمّموا على أن يخرجوا المسلمين من الحبشة ويردوهم إلى مكة حتى يتمكنوا من السيطرة عليهم، والحدّ من انتشار دينهم، ولذا فقد اختاروا رجلين وحملّوهما هدايا ثمينة للنجاشي وبطارقته ولم يدعوا بطريقاً إلا وأهدوا له هدية ثم أوصوهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلّما النجاشي ثم قولا للنجاشي إنه قد انضوى إلى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع وقد بعثنا أشراف قومهم ليردّوهم وأشاروا عليه بتسليمهم. فذهب الرسولان إلى الحبشة ووزّعوا الهدايا على

البطارقة فأعطوا كل بطريق هديته، وأخذوا منهم عهداً على أن يؤيدوهما في مجلس النجاشي، ثم دخلا على النجاشي وقدما هداياهما الثمينة إليه ثم كلّماه بالغرض الذي جاءا من أجله، وطبقاً للقرار المعقود بين البطارقة وبين ممثلي قريش، أشار البطارقة كلهم بإخراج المسلمين فوراً وتسليمهم إلى قريش، ولكن النجاشي لم يقبل هذا الرأي بل قال: لا أسلمهم إليهما، فهؤلاء قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، ولا بدّ من أن أدعوهم فأسألهم عمّا يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

فلمّا سمع ممثلا قريش قول النجاشي تغيَّر لونهما وارتعدت فرائصهما لأنهما كانا يخشيان من أن يقابل النجاشي المسلمين ويتكلم معهم، وكانا يؤثران بقاء المسلمين في الحبشة على مقابلتهم للنجاشي لخوفهم من أن يفتتن النجاشي بما يسمع من المسلمين من القرآن وكلام النبي ﷺ. ولكن ما الذي يفعلانه وقد أمر النجاشي بأن يحضروا هؤلاء المهاجرين أمامه في وقت اتفق عليه.

علم المسلمون بهدف مجيء ممثلي قريش إلى النجاشي، فخافوا خوفاً شديداً من أن يجبروا على الرجوع إلى مكة.

ولـمّـا جـاءهـم رسـول الـنـجـاشـي يـطـلـب حـضـورهـم أمـام النجاشي علموا بأن الخطر بلغ منتهاه، فاجتمعوا مع بعضهم للمشورة، وماذا يجب عليهم أن يقولوا في جواب النجاشي إذا سألهم؟ فاجتمعت كلمتهم على أن لا يقولوا غير الحقيقة وأن يوضّحوا له وضعهم في الجاهلية ووضعهم بعد الإسلام وأن يعرّفوه بحقيقة الإسلام الخلّاقة وروح الدعوة البناءة وأن لا يخفوا عليه شيئاً.

كان مجلس النجاشي مكتظاً بعلماء الدين المسيحي باعتباره الدين الرسمي للحبشة في ذلك الوقت، وكان إزاء كلّ واحد منهم كتاب مقدس وقد أخذ رجال الدولة أماكنهم الخاصة، فانسجمت المراسم الدينية والملكية لتضفي على مجلس النجاشي أبهة وعظمة وجلالاً خاصاً.

تصدر النجاشي المجلس واستقر العلماء ورجال الدولة في الأماكن المعدة لهم. ثم دخل المسلمون مجلس النجاشي - هذا المجلس الذي يجبر الداخل إليه على إبداء الخضوع هيبة له إلّا أن المسلمين دخلوه بلا طمأنينة ووقار، لم تؤثر عليهم عظمته ولم ترهبهم أبهته، بل إنهم لم يراعوا مراسم الأدب الجارية في ذلك الوقت من قبيل تقبيل الأرض أمام السلطان، بل دخلوا وسلّموا يتقدمهم كبيرهم جعفر بن أبي طالب.

كان دخولهم بهذه الصورة إهانة لمقام النجاشي وعظمته، ولهذا فقد سدّدت إليهم سهام الانتقادات من كلّ صوب ولكنهم أجابوا عليها فوراً بقولهم: إن ديننا الذي لذنا بسببه إلى هنا لا يبيح لنا السجود لغير الله الواحد الأحد.

هنا سألهم النجاشي قائلاً: ما هذا الدين الذي فارقتم قومكم بسببه ولم تدخلوا في سواه من الأديان؟ فأجابه كبيرهم جعفر بن أبي طالب قائلاً: أيّها الملك كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، وكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وعبادته وأن نجهر ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فحاربنا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان فلما قهرونا وضيّقوا علينا، لذنا ببلادك ونرجو أن لا نظلم عندك أيها الملك.

لما انتهى جعفر من كلامه قال له النجاشي: هل معك ما جاء به نبيكم عن الله من شيء؟

- نعم.
- اقرأ عليّ.

فشرع جعفر بقراءة سورة مريم التي تتحدث عن مريم وعيسى ويحيى وزكريا. قرأ جعفر سورة مريم لأن المجلس كان مشحوناً بالإحساسات والعواطف المسيحية بالإضافة إلى أنه أراد أن يبيّن للمسيحيين بأن القرآن بقدر ما يقدس عيسى ومريم منتهى التقديس فإنه يعتبرهما عبدين من عبيد الله.

بكى النجاشيّ وبكى المجلس كله ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة اذهبا فلا والله لا أسلمهم إليكما.

وبعد ذلك أسلم النجاشي وتوفي في العام التاسع للهجرة وصلى النبي ﷺ على جنازته من على بعد.

٥٤ - العامل والشمس[1]

زار أبو عمرو الشيباني الإمام الصادق عليه السلام ذات يوم فوجده يعمل بجدٍّ في بستان له والعرق يتصبّب منه لكثرة العمل

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١٢٠.

والإجهاد، وكانت بيد الإمام مسحاة وعليه إزار غليظ، فتعجب أبو عمرو من حالة الإمام وظنّ أنه لم يعثر على عامل يقوم بأعماله فاضطر إلى العمل بنفسه فبادره بالقول: جعلت فداك، أعطني المسحاة فأنا أكفيك.

فأجابه الإمام عليه السلام: إني أحبّ أن يتأذى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة.

٥٥ - الجار الجديد[1]

اشترى رجل من الأنصار بيتاً في إحدى محلات المدينة، وبعد أن انتقل إليه وجد أن له جاراً مؤذياً فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشتكيه فقال: يا رسول الله إني اشتريت داراً في بني فلان وإن أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شره.

فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً وسلمان وأبا ذر وشخصاً آخر، ربما كان المقداد بأن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأن لا إيمان لمن لا يؤمن جاره. فنادوا بها ثلاثاً ثم أومأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده مشيراً إلى أن كلّ أربعين داراً من الجهات الأربع يعتبر ساكنوها جيراناً.

(١) الكافي، ج٢ باب حق الجوار ص٦٦٦.

٥٦ - الكلمات الأخيرة[١]

لم تكد أم حميدة - أم الإمام الكاظم عليه السلام ترى أبا بصير الذي جاء لتعزيتها بوفاة زوجها الإمام الصادق عليه السلام حتى انفجرت باكية، فبكى أبو بصير لبكائها، فلما هدأت عواطفها وسكن نحيبها، التفتت إلى أبي بصير قائلة: لو كنت حاضراً عند أبي عبد الله ساعة احتضاره لرأيت عجباً. فسألها أبو بصير: ماذا حدث؟

فأجابت: بينما كان الإمام عليه السلام يطوي آخر لحظات حياته إذ فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة. ثم أضافت أم حميدة قائلة: ولم يعلم أحد لماذا طلب الإمام عليه السلام حضور أقاربه في تلك اللحظات الحساسة من حياته، ولأي غاية؟

فذهبنا وجمعناهم فلم ندع أحداً. وأصبح السكوت حاكماً على الجميع ينظرون قول الإمام وأمره، فلما فتح الإمام عليه السلام عينيه ورآهم جميعاً حاضرين قال:

«إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة».

---

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١٠٥.

٥٧ - نسيبة[1]

قال الواقدي: كانت نسيبة بنت كعب - أم عمارة بن غزية بن عمرو - قد شهدت أحداً، وكان زوجها غزية وابناها عمارة بن غزية وعبد الله بن زيد من المشاركين في المعركة. وكانت هي قد خرجت في أول النهار ومعها سقاء تريد سقي الجرحى، وقاتلت يومئذ وأبليت بلاء حسناً.

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: دخلت على نسيبة فقلت لها: يا خالة حدثيني خبرك؟

فقالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في الصحابة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أشرع بالقتال وأذبّ عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى بلغت الجرحى.

قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً بليغاً فقلت لها يا أم عمارة من أصابك بهذا؟

قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول الله ﷺ، يصيح دلوني على محمد لا نجوت إن نجا. فاعترضه مصعب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد - دار الفكر - بيروت - ج٣ ص ٥٦٨-٥٦٩.

ابن عمير وناس معه وكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان.

بعد انقضاء واقعة أُحد نادى منادي الرسول ﷺ بالتهيؤ إلى حمراء الأسد، فلما علمت نسيبة بذلك تهيأت للرحيل فشدت عليها ثيابها استعداداً لذلك، إلّا أن نزف الدم لم يمكنها من المشاركة. فلما رجع رسول الله ﷺ من حمراء الأسد ولما يصل إلى بيته بعد حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه فأخبره بسلامتها فسرّ الرسول بذلك.

٥٨ - طلب عيسى ابن مريم(١)

قال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين: لي إليكم حاجة فإن عاهدتموني على أن تقضوها لي قلتها لكم. فقال الحواريون: قضيت حاجتك يا روح الله، الأمر منك والطاعة علينا.

فقام عيسى عليه السلام وغسل أقدامهم واحداً واحداً فقالوا: كنّا أحقّ منك بهذا.

فقال عليه السلام: إن أحقّ الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكي تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم.

---

(١) وسائل الشيعة ج٢ ص٤٥٧.

ثم قال عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل يثبت الزرع لا في الجبل.

٥٩ - جمع الحطب من الصحراء[1]

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في إحدى سفراتهم، إذ نزلوا بأرض جدباء لا نبت فيها ولا ماء، وكانوا قد احتاجوا إلى الحطب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: اجمعوا حطباً، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض جرداء لا حطب فيها.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فليأت كلّ فرد بما يقدر عليه فشرع الصحابة يجمعون ما يشاهدونه من أشواك ونباتات يابسة صغيرة. ثم جاؤوا به إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتجمّع من الحطب مقدار كبير فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هكذا تجتمع الذنوب الصغيرة، مثلما اجتمع هذا الحطب ثم أردف قائلاً: إيّاكم والمحقّرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٦٢.

٦٠ - خمر على المائدة(١)

كان المنصور الدوانيقي يرسل إلى الإمام الصادق عليه السلام بين الآونة والأخرى طالباً حضوره من المدينة إلى العراق ليراقب أعماله ويقيّم تصرفاته. فاتفق أن ختن بعض القواد ابناً له وأولم لذلك وليمة فخمة دعا إليها أشراف الناس وأعيانهم، وكان الإمام الصادق عليه السلام فيمن دعي حيث كان في العراق في ذلك الوقت. وبينما كان الضيوف جلوساً حول المائدة، إذا بأحدهم يستسقي ماء فجيء له بقدح فيه شراب فلما صار القدح في يده نهض الإمام عليه السلام عن المائدة ولما يتم طعامه، فسألوه عن قيامه فأجاب قائلاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر.

٦١ - الاستماع إلى القرآن(٢)

طلب النبي صلى الله عليه وآله من ابن مسعود ذات يوم، أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن، وكان ابن مسعود كاتباً للوحي يحرّر ما ينزل على النبي صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم كما ويقوم بترتيبه أيضاً.

أخذ ابن مسعود مصحفه وفتحه وإذا بسورة النساء فبدأ

---

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١١٥.

(٢) كحل البصر، ص٧٩.

يتلو، فلما بلغ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1]، اغرورقت عينا النبي ﷺ بالدموع وقال: حسبك يا بن مسعود.

٦٢ - تعظيم العامة[2]

قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل: من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كالرجل الذي اشتهر بين العامة من الناس بالخير والإحسان إلى الآخرين، فكانوا يعظمونه ويبجلونه، وكان ذكره يتردد على الألسن والمدح والثناء يزجى إليه من كل حدب وصوب، وكانت شهرته بالتقوى والصلاح قد طغت حتى فاضت بها القلوب والأفواه. أما الكلام عن شرفه وسخائه فقد كان يدور في كل ناد ويتكرر في كلّ مجلس، فأحببت أن أشاهده عن كثب ومن حيث لا يعرفني، وذات يوم رأيته وقد أحدق به خلق كثير فدنوت منه متنكراً فوجدت الناس مسحورين به وهو ما يزال يراوغهم حتى فارقهم فتبعته من حيث لا يعلم كي أعرف أيّ طريق يسلك وأي مكان يريد وماذا يفعل وما هي الأعمال المحسنة التي يقوم بها؟

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢ ص٥٧.

وبعد برهة رأيته يقف أمام حانوت خباز وما هي إلّا لحظة حتى انتهز فرصة انشغال صاحب الحانوت فتناول رغيفين وأخذ طريقه، فتعجبت منه وقلت في نفسي لعله قد اشتراهما سابقاً ودفع ثمنها سلفاً أو أنه سيدفع آجلاً، ثم قلت في نفسي إذا كان قد اشتراهما فلماذا اغتنم فرصة انشغال صاحب الحانوت. ثم لم أزل أتابعه وأنا في خضمّ هذا الفكر حتى مرّ ببائع رمّان فتوقف عنده هنيهة، وما زال يراقبه حتى تغفّله وأخذ منه رمانتين وتابع سيره فدهشت لأمره، وقلت في نفسي لعلّه قد اشتراهما أيضاً، ثم تساءلت: ولكن لماذا أخذ الرمانتين في غفلة من بائع الرّمان؟

ثم لم أزل أتابعه حتى مرّ بمريض وهنا بلغ عجبي منتهاه، عندما وجدته يضع الرغيفين والرمانتين بين يديه. وهنا اقتربت منه وقلت له: أنا رأيت منك عملاً عجيباً وبيّنت له كلّ ما شاهدته منه، وسألته أن يوضّح لي ذلك، فنظر إليّ وقال: ألست جعفر بن محمد؟

- بلى، حدسك صحيح، أنا جعفر بن محمد.

فقال: أنت ابن رسول الله ولك حسب ونسب أصيل ولكن ما ينفعك شرف أصلك مع جهلك؟

فقلت: أيّ جهل رأيته مني؟

قال: جهلت قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وإني لما سرقت الرغيفين كنت قد اقترفت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كنت قد اقترفت سيئتين، فهذه أربع سيئات فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعون حسنة فأنتقص من أربعين حسنة أربع سيئات فيبقى لي ست وثلاثون حسنة.

فقلت له: ثكلتك أمّك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] إنك لما سرقت رغيفين كانا سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانتا أيضاً سيئتين ولما دفعتها إلى غير صاحبها وبغير أمر صاحبها كنت أضفت أربع سيئات ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات.

قال الإمام عليه السلام وتركته وهو على هذه الحال يلاحقني ببصره وانصرفت.

وعندما انتهى الإمام عليه السلام من نقل هذه القصة إلى أصحابه توجّه إليهم وقال: بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضلّون ويضِلّون.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

٦٣ - الكلام الذي بعث القوة في نفس أبي طالب[1]

أخذ النبي ﷺ يصدع بالإسلام غير مبال بمقاومة قريش له، فكان يعيب عليها دينها ويسفّه أحلامها، حتى عظم عليها فعله فأجمع أفرادها على مضاغنته وعداوته فذهب منهم جماعة إلى أبي طالب وطلبوا منه أن يردع النبي ﷺ ويمنعه من الاستمرار في الدعوة فقال لهم أبو طالب قولاً لطيفاً وردّهم ردّاً جميلاً، ولكن النبي ﷺ مضى على ما هو عليه حتى سرى الأمر بينه وبينهم وأكثرت قريش من ذكر رسول الله ﷺ بينها فتذمّروا منه وحضّ بعضهم بعضاً على دفع غائلته والوقوف بوجهه.

فجاءت جماعة أخرى وقالت لأبي طالب: يا أبا طالب إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا والاستهانة بآلهتنا، حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

عظم هذا الإنذار على أبي طالب حيث إنه لم يجابه به من قبل، وكان من الواضح أن أبا طالب لم يكن يستطيع أن يقاوم قريشاً وإذا ما قاومها فسوف يوقع نفسه وابن أخيه وجميع أقاربه في خطر.

---

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص٢٨٢.

لهذا السبب أرسل إلى النبي ﷺ وطرح عليه الموضوع وقال له: كف عن دعوتك وابق على نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

ظنّ الرسول ﷺ بأن إنذار قريش لعمّه قد أثر فيه تأثيراً كبيراً وأنه قد ضعف عن نصرته فقال له: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته.

ثم سالت دموعه على وجنتيه وأراد الذهاب إلّا أن أبا طالب ناداه قائلاً: أقبل يا بن أخي، فأقبل النبي ﷺ فقال له: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت وفوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

٦٤ - الطالب الكهل[1]

كان السكاكي في بداية أمره حداداً، فصنع ذات يوم محبرة صغيرة من حديد وجعل لها قفلاً عجيباً وأهداها إلى ملك زمانه.

فلما أحضر بين يدي الملك، تعجّب الملك من صنعته ولكن لم يرحّب به كثيراً ولم يحتف به كما كان يتصور. واتفق

(١) روضات الجنات، ص٧٤٦.

في هذا الوقت أن دخل رجل على الملك وكان السكّاكي حاضراً، فقام الملك احتراماً لذلك الرجل وأجلسه في محلّه، فسأل عنه السكاكي فقيل إنه من العلماء، ففكر السكاكي في نفسه أنه لو كان من هذه الطائفة لكان أقرب إلى ما كان يطلبه من الفضل والشرف والقبول. وخرج من ساعته لتحصيل العلوم وكان إذ ذاك قد ذهب من عمره ثلاثون سنة.

وذات يوم قال له المدرس: لعلك في سن لا ينفعك فيه التعلّم وأرى أن ذهنك لا يساعدك على اكتساب العلم. ثم أخذ يعلّمه هذه المسألة «قال الشيخ جلد الكلب يطهر بالدباغة» وجعل يكرّرها عليه. فلما كان من الغد جاء السكّاكي وطلب منه أستاذه أن يعيد الدرس الذي قرأه بالأمس فقال السكاكي: قال الكلب جلد الشيخ يطهر بالدباغة. فضحك منه الحاضرون.

يئس السكاكي من نفسه وضاق صدره فخرج إلى البراري والجبال فاتفق أن رأى قليلاً من الماء يتقاطر من فوق جبل على صخرة صماء، وقد ظهر فيها ثقب من أثر ذلك التقاطر، فاعتبر بهذه وقال: ليس قلبي بأقسى من هذه الصخرة ولا خاطري بأصلب منها حتى لا يتأثر بالدرس والتحصيل، ورجع ثانية إلى المدرسة بعزمه الثاقب حتى فتح الله عليه أبواب العلوم والمعارف وحاز قصب السبق على جميع أهل زمانه.

٦٥ - عالم نباتي[1]

يئس معلمو (شار دولينه) من تقدمه في الدراسة فاتفقوا جميعاً على أن ينصحوا أباه الذي كان قسيساً أن لا يبقى بانتظار تقدم ابنه في الدراسة، والأفضل أن يبحث له عن عمل يدوي مناسب. ولما كان أبوا (لينه) يحبانه حباً جماً، لم يكترثا بنصيحة معلميه بل أرسلاه إلى الجامعة لدراسة علم الطب، وباعتبار أنهما فقيرين فقد دفعا مبلغاً قليلاً، مقابل مدة دراسته ولولا مساعدة الفلاح المحسن الذي كان يعمل في حديقة الجامعة إلى (لينه) لقضى الفقر عليه.

إلّا أن (لينه) لم يكن يرغب بدراسة الطب كما أراد أبواه، بل كان راغباً في دراسة علم النبات، لأنه كان قد ورث منذ الطفولة حب الزراعة حيث كان بستان أبيه مغطى بالنباتات والورود الجميلة. وعندما كان (لينه) طفلاً صغيراً كانت أمّه تعطيه وردة لكي يسكت ويهدأ حينما كان يبكي. وخلال دراسة (لينه) لعلم الطب في الجامعة قرأ موضوعاً في علم النبات لعالم نباتي فرنسي، فأثّر هذا الموضوع في نفسه تأثيراً عميقاً مما حفّزه على التعمق في أسرار النباتات.

ومن المواضيع التي كانت تلفت نظر علماء النبات في ذلك

---

(١) تاريخ العلوم: ي يرروسور، ص٣٨٢-٣٨٣.

الوقت هو التقسيم الصحيح للنباتات، وقد وفق (لينه) لاكتشاف الذكر والأنثى مما جلب أنظار العلماء نحوه، فالكتاب الذي نشره في هذا الموضوع استحق بموجبه درجة تؤهله لتدريس علم النبات في الجامعة نفسها التي كان قد درس فيها، ولكن حسد الآخرين له حال دون ذلك.

فرح (لينه) لنجاحه كثيراً وذاق طعم موفقيته لأول مرة ولذا لم يهتم لحسد الحاسدين، بل هيأ نفسه لمهمة علمية وسفر طويل من أجل الدراسة والتحقيق في الطبيعة، وبعد مدة قصيرة عزم على السفر مصطحباً معه ما يحتاج من وسائل السفر البسيطة المكوّنة من بعض الملابس مع حقيبة وعدسة مكبّرة وعدد من الأوراق اللازمة.

قطع (لينه) سبعة آلاف كليومتر مواجهاً صعوبات ومشاكل عجيبة ثم رجع بمعلومات قيّمة وتحقيقات علميّة مهمة.

في سنة - ١٧٣٥ - أي بعد ثلاث سنوات من سفره هذا هاجر إلى هامبورك بعد أن لاحظ أن لا فائدة من التحقيق والعمل في وطنه السويد.

وفي أثناء زيارته لأحد المتاحف هناك أظهر لمديره أحد الأشياء التي كان قد حصل عليها في سفره وكانت ثعباناً مائياً ذا سبعة رؤوس، ولم تكن هذه الرؤوس تشبه رؤوس الحيتان

فحسب بل كانت شبيهة برأس الحيوان المعروف (بابن عرس) أيضاً.

وقد استطاع (لينه) خلال هذه المدة أن يعدّ رسالة الدكتوراه في علم الطب، كما استطاع في الوقت نفسه أن يطبع كتابه المسمى (جهاز الطبيعة) في ليدن.

وكتابه (جهاز الطبيعة) أوجد له شهرة عظيمة سببت في دعوة أحد أثرياء (امستردام)! (لينه) أن يدير حديقته الغناء التي يندر وجود مثيل لها، وبهذه الطريقة استطاع (لينه) أن يلقي عنه عصا السفر التي حملها مدة طويلة من الزمان، وأن يركن إلى الراحة والهدوء، وتمكن أيضاً بواسطة هذا المحسن أن يذهب إلى فرنسا وأن يزور غابات (ودون) ويجمع أنواع النباتات هناك.

وأخيراً أثّرت الغربة فيه وتغلّب حنين الوطن عليه فرجع إلى وطنه السويد حيث رحب به وطنه هذه المرة ومنحه كلّ الامتيازات اللائقة برجل نابغة مثابر.

٦٦ - الخطيب[1]

كان (دموستنس) خطيباً وسياسياً مشهوراً في بلاد اليونان. وكان قد شارك أرسطو في سنة ولادته وعام وفاته.

---

(١) آيين سخنوري، محمد علي فروغي، ج٢ ص٥و٦.

أخذ (دموستنس) يعدّ نفسه ويمرنها على الخطابة منذ أن بلغ سن الرشد، ولكن لا ليصبح معلماً لامعاً أو خطيباً ناطقاً تُرجع صوته المحافل السياسية والدينية أو المحاكم القضائية، بل ليستطيع أن يدافع عن نفسه وعن حقوقه عند إقامته الدعوى ضد أوصياء أبيه الذين أكلوا أمواله عندما كان صغيراً. وقد درّب نفسه على هذا العمل كثيراً حتى أصبح لامعاً في هذا الفن وخطيباً مشهوراً في المجتمع.

في بداية الأمر، كانت تتخلل خطاباته بعض العيوب التي تتعلق بصوته أو قدرته على التعبير، ولكنه بسعيه ومثابرته وترغيب أصدقائه أزالها شيئاً فشيئاً باتباعه طريقة خاصة، فقد اتخذ له بهواً خاصاً تحت الأرض لإجراء تمارينه حيث كان يضع حصاة في فمه ويقرأ بصوت عال لكي يصلح لهجته، وكان يقرأ المنظومات المطولة دون أن يقطع نفسه كي يصبح طول النفس ملكة طبيعية له، وكان يقف أمام المرآة ليصلح منظره وشكله قبيل الخطابة.

استمر (دموستنس) على هذا العمل مدة طويلة من الزمن حتى استقام له ما أراد فأصبح من أشهر خطباء العالم.

٦٧ - ثمرة السفر إلى الطائف(١)

لما توفّي أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجل وعمد إلى ثلاثة إخوة هم عبدياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود ابن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير، فدعاهم إلى الله وكلّمهم في مسألة نصرته والقيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: امرط ثياب الكعبة - أي انزعها وارمها - إن كان الله أرسلك رسولاً، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً.

ولم يكتف هؤلاء الإخوة الثلاثة بردّهم هذا، بل أغروا سفهاءهم وعبيدهم بأن يسبّوا النبي ﷺ حتى أجبروه على الخروج من الطائف واللجوء إلى بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة فعمد إلى ظلّ شجرة من العنب يستريح تحتها.

كان عتبة وأخوه شيبة آنذاك في بستانهما فشاهدا ما لقي النبي ﷺ من سفهاء أهل الطائف. ولما اطمأن الرسول ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، قم - مكتبة المصطفوي ص٦١ و٦٢.

توجّه إلى ربه بالشكوى فقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى عبد يتجهمني أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلّا بك.

فلما رآه عتبة وشيبة على هذه الحال، تحرّكت الرحمة في نفوسهم فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس فقالا له: خذ قطفاً من العنب وضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عدّاس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل، فلمّا وضع الرسول يده على العنب قال: باسم الله. ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه ثم قال: والله إن هذا كلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فسأله الرسول ﷺ: ومن أيّ البلاد أنت؟ وما دينك؟ فأجابه عدّاس: أنا رجل نصراني من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فتعجب عدّاس من قول النبي ﷺ فسأله: وما يدريك من يونس بن متى؟ فقال رسول

الله ﷺ: ذاك أخي. كان نبياً وأنا نبي. فأكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

فقال ابنا ربيعة احدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

٦٨ - أبو اسحاق الصابي[1]

كان أبو إسحاق الصابي أديباً بارعاً وكاتباً معروفاً، له في الكتابة والإنشاء مقام رفيع، فلقد شغل وظيفة كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، كان أبو إسحاق الصابي يصوم رمضان احتراماً للمسلمين، ويحفظ القرآن ويقتبس آياته في كتاباته. كان الصابي رفيقاً مخلصاً وصديقاً وفياً للشريف الرضي ولما توفّي سنة ٣٨٤ رثاه الشريف الرضي بقصيدة مشهورة فيها:

أرأيت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا ضياء الفادي
جبل هوى لو فرّ في البحر اغتدى
من ثقله متتابع الأزياد

(١) الكنى والألقاب، ج٢ ص٣٦١-٣٦٣.

ما كنت أعلم قبل حطّك في الثرى
أن الثرى يعلو على الأطواد

بعد أن رثى الشريف الرضي الصابي بهذه القصيدة الفريدة لامه الناس وعاتبوه على ذلك وحجتهم أن الصابي وكما هو معروف من اسمه لم يكن مسلماً، فردّ عليهم الشريف الرضي بقوله: إنما رأيت فضله!

٦٩ - رائد الحقيقة

عن عنوان البصري قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلمّا قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك.

فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب ومع ذلك فإن لي أوراداً في كلّ ساعة من آناء الليل والنهار فلا تشغلني عن وردي وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تفعل قبلاً، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو توسّم فيّ خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه. فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلّمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين وقلت متضرعاً إلى الله: أسألك يا الله يا الله، أن

تعطف قلب جعفر عليّ، وترزقني من عمله ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتماً ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلّا إلى الصلاة المكتوبة، حتى عيل صبري فلمّا ضاق صدري تنعّلت وترديت وقصدت جعفراً، وكان بعدما صليت العصر فلما بلغت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلّاه فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلّا يسيراً إذ خرج الصادق عليه السلام فقال: اجلس غفر الله لك. فجلست فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟ قلت: أبو عبد الله. قال: ثبّت الله كنيتك ووفّقك يا أبا عبد الله، ما مسألتك؟

فقلت في نفسي لو لم يكن في زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً. ثم رفع رأسه وقال: ما مسألتك؟

فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليّ ويرزقني من علمك، وأرجو من الله تعالى، إجابتي في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلّم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك.

٧٠ - طلب اليقين[1]

كانت المدرسة النظامية في بغداد والمدرسة النظامية في نيشابور تغذّيان الطلاب بالعلوم في العصر السلجوقي.

وكان أبو المعالي إمام الحرمين يحظى بالمنزلة الرفيعة في المدرسة النظامية في نيشابور حيث كان يحضر درسه مئات من الطلبة المجدّين وكان من بين طلبته ثلاثة طلاب بارزين يلفتون النظر إليهم لاستعدادهم ونشاطهم ومقدرتهم على تلقّي الدروس واستيعابها. هؤلاء الثلاثة هم محمد الغزالي، وكياهراسي، وأحمد بن محمد الخوافي. وكان الغزالي أقدمهم وأكثرهم نشاطاً وفعالية ولما توفي إمام الحرمين سنة ٤٧٨ التحق الغزالي بالوزير السلجوقي الخواجة نظام الملك، حيث كان محباً للعلم والعلماء.

وبعد لأي وجهاد عنيف مع نفسه، تنازل عن كرسي رئاسة المدرسة النظامية كي يريح ضميره ووجدانه ويمهّد السبيل إلى نفسه لمعرفة الحق وكشف اليقين والحقيقة.

تعلّل الغزالي بالسفر إلى مكة المكرمة عندما عزم على الخروج من بغداد، ولمّا خرج منها وفارق من ودعه إلى

(١) ترجمة المنقذ من الضلال.

خارجها توجّه إلى الشام وبيت المقدس وسلك مسلك الدراويش حتى لا يعرفه من يشاهده. كان يختلي بنفسه ويطيل التفكير فيها كثيراً، ولم يقتصر تفكيره في نفسه وحسب بل وفيما حوله حتى اهتدى إلى غايته ووجد ضالته وهو اليقين والاطمئنان الذاتي بعد أن أمضى من عمره عشر سنوات قضاها في الرياضة النفسية والتفكير العميق.

وفي سنة ٤٨٤، تولى رئاسة المدرسة النظامية في بغداد، حيث كانت أهم منصب علميّ ديني، وكان الغزالي مرجعاً مهماً في الأمور الدينية والسياسية. فلقي الحظوة والاحترام لدى الخليفة المقتدر بالله والمستظهر بالله، كما أنه كان مقدّراً من قبل الملك السلجوقي ووزيره الخواجة نظام الملك.

إلّا ان ذلك لم يكن ليقعده عمّا كان يشعر به في نفسه من دوافع تدفعه لاستطلاع الحقيقة واكتشافها، فكان يسعى دائماً لإشباع هذه الدوافع فلم يدع فرصة ولا سبيلاً إلّا استغلهما لكشف اليقين ومعرفة الحقيقة. وبعد تفكير عميق توصّل إلى أن معرفة الحقيقة ملازمة لمجاهدة النفس وتطهيرها من براثن الشهوة وحب الجاه والسلطان.

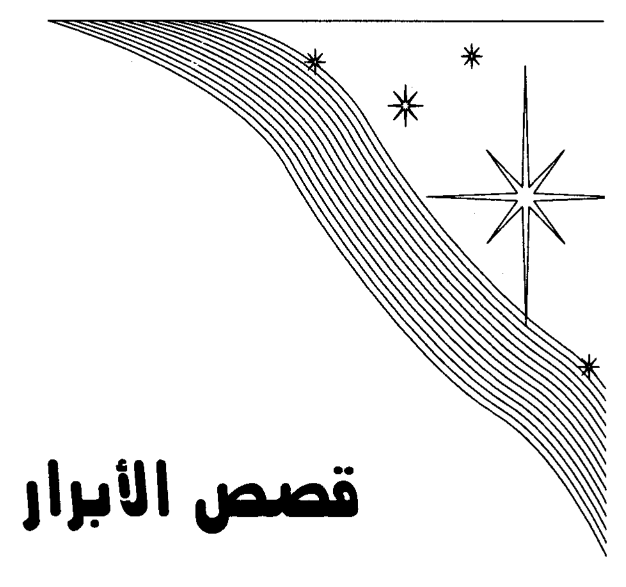
٧١ - أمعك ماء وأنت تذوب عطشاً[1]

أضرّ الحرّ والقحط بأهل المدينة، وكان أملهم الوحيد بثمر النخيل حيث كانوا ينتظرون قطافه. في هذا الوقت العصيب أمر النبي ﷺ الناس بأن يستعدوا للحرب ويتهيأوا لصد الحملة الرومية المحتملة. لم يكن الأمر يسيراً على المسلمين لأنهم كانوا مقحطين من جهة ومستعدين لقطف ثمارهم من جهة أخرى إضافة إلى حرارة القيظ التي كانت تلهب الأرض والفضاء بسعيرها، الّا أنّ هذه الصعوبات لم تقف حائلاً دون استعداد جيش المسلمين الذي كان يبلغ عدده ثلاثين ألف جندي.

سار الجيش والشمس تلهب أفراده بجحيمها، فضلاً عن الحرّ الشديد الذي كان يقاسيه الجنود في الصحراء، كما أن الغذاء لم يكن كافياً والوسيلة لم تكن مريحة فندم بعض ضعفاء الإيمان وقفلوا إلى المدينة راجعين. وكان أول من رجع هو كعب بن مالك، ولمّا أخبر الرسول ﷺ برجوعه قال ما مضمونه، إذا كان فيه خير فسيرجعه الله إليكم وإن لم يكن فيه خير فيستولاه الله... القصة ناقصة.

---

(١) أبو ذر الغفاري - عبد الحميد جودة السحار.

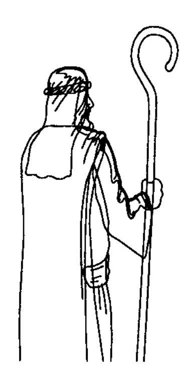


قصص الأبرار

القسم الثّاني

تأليف

الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٧٢ - عدي بن حاتم[١]

كان عدي بن حاتم شديد الكراهية للنبي ﷺ، وكان ملكاً في قومه يأخذ الربح من غنائمهم لأنه سيّدهم، وكان نصرانياً يخفي دينه عن قومه، فلمّا سمع بأن جيوش المسلمين على مقربة منه، يريدون حربه قال لغلامه: أعددْ لي من إبلي جمالاً ذللاً وسماناً، فأحضرها الغلام له، فحمل أهله ووِرده، وهرب بهم إلى الشام، حيث أقام هناك ولكنه خلّف أختاً له يقال لها (سفانة) ولم يأخذها معه.

فلمّا وطأت جيوش المسلمين أرضه أصابت فيمن أصابت (سفانة) فقدم بها إلى رسول الله ﷺ فجعلت في حظيرة بباب المسجد حيث كانت السبايا يحبسن هناك، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن عليّ منّ الله عليك.

قال: ومن وافدك؟

(١) سيرة ابن هشام، ج٤ ص٢٢٥-٢٢٨.

قالت: عدي بن حاتم.

قال: الفارّ من الله ورسوله؟ ومضى.

ثم مر بها في اليوم الثاني، فقالت له مثلما قالت بالأمس، فأجابها النبي ﷺ بالجواب الأول وتركها.

قالت (سفانة): حتى إذا كان الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إلي رجل من خلفه، أن قومي فكلّميه: قالت فقمت إليه.

فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ منّ الله عليك.

فقال ﷺ: قد فعلت، فلا تعجلي بالخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك مورد ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيه.

فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلّمه فقيل علي بن أبي طالب عليه السلام.

أقامت سفانة بالمدينة حتى قدم ركب ممن تثق بهم، فجاءت إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله، قد جاء رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

فكساها رسول الله ﷺ وأعطاها نفقة، وأرسلها معهم حتى بلغت الشام فلمّا وصلت دخلت على أخيها عدي، أخذت في لومه ومضت فيه مجدّة.

فقالت: احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك.

فقال لها: أي أخيّة، لا تقولي إلّا خيراً، فوالله ما لي من عذر.

ثم قال لها وكانت امرأة حازمة: «ماذا ترين في أمر هذا الرجل».

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً، فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عزّ اليمن، وأنت أنت.

قال: والله إن هذا لهو الرأي الصواب.

قال عدي: فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ في المدينة، وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعائد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم مضى بي حتى إذا دخل بي بيته، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليّ، وقال اجلس على هذه فقلت: بل أنت اجلس عليها فقال ﷺ: بل أنت فجلست عليها، وجلس ﷺ على الأرض فقلت في نفسي، والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال ﷺ: إيه يا عدي بن حاتم، ألم تكن ركوسيّا[1].

قلت: بلى.

قال ﷺ: أولم تكن مع قومك بالمرباع؟ فقد كان يأخذ منهم ربع الغنائم.

قلت: بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك.

قلت: أجل والله، ثم علمت بأنه نبيّ مرسل، يعلم ما يُجهل.

ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايّم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم. قال عدي: فأسلمت.

وكان عديّ يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، إذ رأيت

---

(١) الركوسي: من الركوسية: وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئة.

القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج هذا البيت، وايّم الله لتكون الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

٧٣ - امتحان الذكاء[1]

لم يوفّق الطّلاب للإجابة على السؤال الذي طرحه أستاذهم، فلقد أجاب كل واحد منهم جواباً لم يقع موقع القبول لدى الأستاذ.

كان سؤال أستاذهم الرسول ﷺ هو: أيّ عرى الإيمان أوثق؟

أجابه واحد من الصحابة: الصلاة.

النبي ﷺ: لا.

أجاب آخر: الزكاة.

النبي ﷺ: لا.

أجاب الثالث: الصوم.

النبي ﷺ: لا.

---

(١) الكافي، ج٢ ص. ٢٥ باب الحب في الله والبغض في الله. وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٩٧.

وقال الرابع: الحج والعمرة.

النبي ﷺ: لا.

أما الخامس فقال: الجهاد.

النبي ﷺ: لا.

كانت النتيجة، أن الجواب المطلوب لم يصدر من أحد من الحاضرين بل صدر من المعلم نفسه فقال ﷺ: لكل ما قلتم فضل، ولكن ليس المطلوب ما قلتم. إنّ أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله.

٧٤ - جويبر والذلفاء[١]

كان جويبر رجلاً قصيراً دميماً، محتاجاً عارياً، وكان أسود من قباح السودان، وكان من أهل اليمامة. جاء إلى رسول الله ﷺ طالباً الإسلام، فأسلم على يده ﷺ، وحسن إسلامه. ضمه رسول الله ﷺ لحال غربته واحتياجه، فكان يجري عليه طعاماً صاعاً من تمر، وكساه شملتين وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل، فمكث هناك ما شاء الله، حتى كثر الغرباء ممن يدخلون في الإسلام، من أهل الحاجة بالمدينة إلى أن

(١) الكافي، ج٥ ص٣٤٠-٣٤٣.

ضاق بهم المسجد فأوحى الله عزّ وجل إلى نبيه ﷺ أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل.

أمر رسول الله ﷺ بعد ذلك أن يتخذ المسلمون سقيفة، فعملت لهم وهي الصّفة، ثم أمر الغرباء والمساكين أن يظلّوا فيها نهارهم وليلهم، فنزلوا واجتمعوا فيها، فكان رسول الله ﷺ يتعهدهم بالبر والتمر والشعير والزبيب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان المسلمون يتعهدونهم ويرقون عليهم لرقّة الرسول ﷺ.

نظر رسول الله ﷺ إلى جويبر ذات يوم، وقال له: يا جويبر لو تزوجت امرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك.

فقال جويبر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي من يرغب فيّ، فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال، فأية امرأة ترغب بي؟

فقال رسول الله ﷺ: يا جويبر إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرّف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً، وأعز بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية، وتفاخرها بعشائرها، وباسق أنسابها، فالناس اليوم كلّهم، أبيضهم

وأسودهم وقرشيهم، وعربيهم وأعجميهم، من آدم وإن آدم خلقه الله من طين، وإنّ أحب الناس إلى الله عزّ وجل يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم، وما أعلم يا جويبر لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً، إلّا لمن كان أتقى لله منك وأطوع.

ثم قال له: انطلق يا جويبر إلى زياد بن لبيد فإنه من أشرف بني بياضة حسباً - وهي قبيلة من الأنصار - وقل له: إني رسول رسول الله إليك وهو يقول لك: زوّج جويبراً ابنتك الذلفاء.

انطلق جويبر برسالة رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد وهو في منزله ورهط من قومه لديه، فاستأذنه بالدخول، فأذن له، فدخل فسلّم عليه، ثم قال: يا زياد بن لبيد، إني رسول رسول الله ﷺ إليك في حاجة لي، أفأبوح بها أم أسرّها إليك؟

فقال له زياد: بل بح بها، فإن ذلك شرف لي وفخر، فقال له جويبر: إن رسول الله ﷺ يقول لك زوج جويبراً ابنتك الذلفاء.

فقال له زياد: أرسول الله أرسلك إليّ بهذا؟

- نعم، فما كنت لأكذب على رسول الله ﷺ.

فقال له زياد: إنّا لا نزوج فتياتنا إلّا أكفاءنا من الأنصار.

ثم قال له: انصرف يا جويبر حتى ألقى رسول الله ﷺ فأخبره بعذر.

انصرف جويبر هو يقول: والله ما بهذا نزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد ﷺ، فسمعت مقالته الذلفاء بنت زياد وهي في خدرها، فأرسلت إلى أبيها، تستدعيه، فدخل إليها، فقالت له: ما هذا الكلام الذي سمعتك تحاور به جويبراً؟

فقال لها: ذكر لي أن رسول الله ﷺ أرسله، وقال: يقول رسول الله ﷺ، زوج جويبراً ابنتك الذلفاء.

فقالت له: والله ما كان جويبر ليكذب على رسول الله ﷺ بحضرته فابعث الآن رسولاً يردّ عليك جويبراً.

فبعث زياد رسولاً فلحق جويبراً وجاء به، فقال له زياد: يا جويبر مرحباً بك اطمئن حتى أعود إليك. ثم انطلق زياد إلى رسول الله ﷺ: فقال له: بأبي أنت وأمي إن جويبراً أتاني برسالتك وقال: إن رسول الله ﷺ يقول لك: زوّج جويبراً ابنتك الذلفاء فلم ألن له بالقول ورأيت لقاءك، ونحن لا نزوج فتياتنا إلّا أكفاءنا من الأنصار.

فقال له رسول الله ﷺ: يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفوء للمؤمنة، والمسلم كفوء للمسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه.

رجع زياد إلى منزله ودخل على ابنته، فقال لها ما سمعه من رسول الله ﷺ. فقالت له: إنك ان عصيت رسول الله كفرت، فزوّج جويبراً. فخرج زياد فأخذ بيد جويبر، ثم أخرجه

إلى قومه، وزوّجه على سنة الله وسنة رسوله ﷺ وضمن صداقته.

جهز زياد ابنته الذلفاء وهيأها ثم أرسلوا على جويبر فقالوا له: ألك منزل فنسوقها إليك؟ فقال: والله ما لي من منزل.

فهيأوا لجويبر منزلاً وأتوه بالفراش والمتاع وكسوا جويبراً ثوبين وأدخلت الذلفاء بيتها وأدخل جويبراً عليها، فلما رآها، ورأى ما منحه الله من نعمة، قام إلى زاوية البيت، فلم يزل تالياً للقرآن راكعاً ساجداً حتى طلع الفجر، فلمّا سمع النداء خرج وخرجت زوجته إلى الصلاة فسئلت: هل مسّك؟ فقالت: ما زال تالياً للقرآن وراكعاً وساجداً حتى سمع النداء، فخرج، وهكذا كانت الحال في الليلة الثانية والثالثة، فلما كان اليوم الثالث أخبر أبوها بالخبر، فانطلق إلى رسول الله ﷺ: وحكى له ما كان من أمر جويبر.

فأرسل النبي ﷺ إلى جويبر يطلبه، فلما حضر قال له ﷺ: أما تقرب النساء؟

فأجاب جويبر: أوما أنا بفحل، إني لنهم إلى النساء يا رسول الله.

فقال ﷺ: قد خبرت بخلاف ما وصفت به نفسك، وقد هيأوا لك بيتاً وفراشاً ومتاعاً.

فأجاب جويبر: يا رسول الله دخلت بيتاً واسعاً ورأيت فراشاً ومتاعاً وأدخلت علي فتاة حسناء، فذكرت حالي التي كنت عليها وغربتي وحاجتي ووضيعتي وكسوتي مع الغرباء والمساكين، فأحببت إذ أولاني الله ذلك، أن أشكره على ما أعطاني وأتقرب إليه بحقيقة الشكر، فرأيت أن أقضي الليل مصلياً والنهار صائماً ففعلت ذلك ثلاثة أيام ولياليها، ولكني سأرضيها وأرضيهم الليلة فأرسل رسول الله ﷺ إلى زياد فآتاه، فأعلمه ما قال جويبر.

وفى جويبر بقوله، وعاش مع زوجته بسعادة وأنس وصفاء، إلى أن خرج النبي ﷺ إلى غزوة، فخرج معه فاستشهد، وبعد استشهاد جويبر، لم تكن في الأنصار امرأة حرة أروج في رغبة الناس إلى الزواج منها وبذل الأموال الطائلة في الحظوة بها من الذلفاء.

٧٥ - نصيحة[١]

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، أوصني؟

فقال له النبي ﷺ: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٥٧.

- نعم يا رسول الله.

فكرّر ﷺ: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟

فأجابه الرجل: نعم يا رسول الله.

وأعاد الرسول ﷺ سؤاله للمرّة الثالثة: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟

- نعم يا رسول الله.

وبعد أن اطمأن النبي ﷺ بأنه سيعمل بنصيحته، لفت نظره إلى أهمية ما يريد أن يتفوه به وقال:

إذا هممّت بأمر فتدبّر عاقبته فإن يك رشداً، فامضه وإن يكن غيّاً فانته عنه.

٧٦ - التصميم المفاجئ[١]

تعجب هارون الرشيد كثيراً لمّا بلغه أن صفوان الجمال قد باع الجمال التي أكراها له لكي تحمل أمتعته إلى الحج، فبعث على صفوان الجمال وقال له: بلغني أنك بعت جمالك.

- نعم يا أمير المؤمنين.

- ولم؟

(١) سفينة البحار، ج٢ ص١٠٧.

- لأني شيخٌ عاجزٌ وإن الغلمان لا يفون بالأعمال.

- قل الصدق، لماذا بعت الجمال؟

- كما قلت لك.

- هيهات، هيهات، إنّي لأعلم من أشار عليك بهذا، إنه موسى ابن جعفر.

ثم أردف بخشونةٍ وغضب: اعلم يا هذا فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك. كان حدس هارون الرشيد صحيحاً، فمع أن صفوان كان من المقربين إلى الخليفة وله سوابق وروابط معه، إلّا أنه كان من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام وأتباعه المخلصين، فبعد أن تعاقد مع الخليفة على أن يكري له جماله إلى الحج التقى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقال له الإمام عليه السلام: يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً.

- أيّ شيء يا بن رسول الله؟

- كرايتك الجمال من هذا الرجل - يعني هارون الرشيد.

- والله ما أكريته أشراً، ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للّهو، ولكن أكريته لطريق مكة، ولا أتولاه بنفسي. بل أبعث غلماني معه.

- أيقع كراك عليهم؟

- نعم يا ابن رسول الله.

- أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك؟.

- نعم يا بن رسول الله.

فقال الإمام عليه السلام: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فقد ورد النار.

وعلى أثر هذا فقد ذهب صفوان وباع جماله عن آخرها.

٧٧ - ما أعظم بركة هذه النقود[١]

أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام اثني عشر درهماً، وقال له: يا علي خذ هذه الدراهم، واشتر لي بها ثوباً ألبسه.

قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إليه، وقال: يا علي غير هذا أحبّ إليّ، أترى صاحبه يقبلنا، فقلت لا أدري، فقال: انظر.

قال علي عليه السلام: فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كره هذا ويريد ثوباً دونه، فأقلنا فيه، فردّ عليّ

(١) بحار الأنوار - ج٦ - باب مكارم أخلاقه وسيره وسننه.

الدراهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ، فمشى معي رسول الله ﷺ إلى السوق، ليبتاع قميصاً، فرأى جارية على الطريق تبكي، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: يا رسول الله، إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت، ولا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم وقال لها: ارجعي إلى أهلك. ومضى ﷺ إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه، وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية على الطريق فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟ قالت: يا رسول الله إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني.

فقال لها رسول الله ﷺ: دلّيني على أهلك. فدلته.

فجاء ﷺ حتى وقف على باب دارهم ثم قال:

السلام عليكم يا أهل الدار. فلم يجيبوه فأعاد السلام فلم يجيبوه فأعاد السلام فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال ﷺ لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام

والثاني فقالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن نستكثر منه.

فقال ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم، فلا تؤاخذوها.

فقالوا: يا رسول الله هي حرّة لممشاك (أي لمقدمك).

فقال ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه. كسا الله بها عريانين، وأعتق نسمة.

٧٨ - ارتفاع الأسعار[1]

أصيبت المدينة مرة بالقحط، فارتفعت أسعار الحبوب فيها وتزايد الثمن، واستولى القلق والخوف على ساكنيها، فسارع من لم يدخر شيئاً إلى جمع ما يكفيه، وأبقى من كان قد ادّخر سابقاً على ما ادخره.

وكان من بين هؤلاء من أجبره الفقر على أن يشتري طعامه يوماً بيوم، فسأل الإمام الصادق عليه السلام (معتباً) وكان يشرف على إدارة شؤون بيت الإمام عليه السلام: كم عندنا من طعام؟

فأجاب معتب: ما يكفينا كثيراً.

---

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١٢١.

فقال الإمام عليه السلام: أخرجه إلى السوق وبعه.

فأجاب معتب: لا يوجد في المدينة طعام، فإذا بعناه لا يمكننا أن نشتري غيره.

- أخرجه إلى السوق وبعه.

فلمّا أخرج معتب ما كان معه من الحنطة وباعه، قال له الإمام عليه السلام: اشتر مع الناس يوماً بيوم، ثم قال: يا معتب، اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة فإن الله يعلم أني أقدر أن أطعمهم الحنطة وحدها، ولكني أحبّ أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة.

٧٩ - تخلية الحمام من الناس[1]

لم يتبع الخلفاء الأمويون والعباسيون سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، بل اتخذوا لهم طرقاً خاصة في إدارة الناس، وعادات خاصة أيضاً في المعيشة، حتى نسيت الطريقة التي كان يسير عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدون تدريجياً.

كانت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته من بعده هي عدم التعسف

(١) بحار الأنوار - ج١١ ص١١٧.

وعدم التكبّر بل التواضع بين الناس ومسايرتهم وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم عليه.

فمن سيرة الإمام الصادق عليه السلام أنه دخل يوماً الحمام، فقال له صاحب الحمام: أخليه لك؟[1]

فقال الإمام عليه السلام: لا حاجة لي في ذلك، المؤمن أخف مؤونة من ذلك.

٨٠ - الحاجة إلى الماء[2]

قبل أن تستعر نار الحرب في صفّين، كان أبو الأعور السلمي على مقدمة جيش لمعاوية، قد سبق معاوية ليستطلع الخبر، وقد ناوش مقدمة جيش علي عليه السلام، وكان عليها الأشتر النخعي، مناوشة ليست بالعظيمة ثم انصرف عن الحرب

(١) كان صاحب الحمام يخليه للخليفة وغيره من البارزين والأعيان لتكبرهم على الرعية عامة الناس، فقد يتساءل الأفراد لماذا جاء صاحب الحمام فأخرجنا بعنف وتعسف ونحن لما ننته من الغسل والنظافة، فيكون الجواب أن الخليفة يريد الدخول أو أحد الأعيان ولا يريد في الحمام من يزعجه.

(٢) شرح ابن أبي الحديد خطبة (٥١) - دار الفكر - بيروت - ج١ ص٤١٩-٤٢٨.

راجعاً، فسبق إلى الماء وتسلّط عليه في الموضع المعروف بقنسرين إلى جانب صفين، ثم ساق الأشتر يتبعه فوجده مهيمناً على الماء، فصدّوا أبا الأعور وأزالوه عن الماء بعد ذلك، ثم أقبل في جميع الفيلق بقضّه وقضيضه، فلمّا رآهم الأشتر انحاز إلى علي عليه السلام وغلب معاوية وأهل الشام على الماء، وحاولوا بين أهل العراق وبينه، فدعا الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان وقال له: ائت معاوية وقل له إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الاعذار إليكم، وإنك قدمت خيلك لمقاتلتنا، قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالحرب ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك، ونحجّ عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، فخلّ بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم له... فلما مضى صعصعة برسالته إلى معاوية، أبى معاوية وأصحابه أن يخلّوا بين القوم وبين الماء، ما عدا عمرو بن العاصّ حيث قال لمعاوية، خلّ بينهم وبين الماء فإن علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان وفي يده أعنة الخيل، وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق.

قال عبد الله بن عوف بن أحمر، لما رجع صعصعة إلينا، وأخبرنا بما جرى بينه وبين معاوية وأصحابه ازدلفنا إليهم،

واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا، فقلنا لا والله لا نسقيهم، فأرسل إلينا عليّ عليه السلام، أن خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى معسكركم، وخلّوا بينهم وبين الماء، فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم، إني لا أفعل ما فعله الجاهلون، سنعرض عليهم كتاب الله، وندعوهم إلى هدى فإن أجابوا فنعماً هي وإلّا ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله.

قال نصر: فوالله ما أمسى الناس، حتى رأوا سقاة أهل العراق وروایاهم، وسقاة أهل الشام وروایاهم يزدحمون على الماء ازدحاماً شديداً.

---

٨١ - الشكوى من الزمان[1]

روى المفضل بن قيس بن مانة قال:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فشكوت إليه بعض حالي، وسألته الدعاء، فنادى: يا جارية هاتي الكيس الذي وصلنا به أبو جعفر، فجاءت بكيس.

فقال: هذا كيس فيه أربعمائة دينار، فاستعن به.

---

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١١٤.

فقلت: لا والله، جعلت فداك ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء لي.

فقال لي: ادع الله، ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنت فيه فتهون عليهم.

٨٢ - عتاب أستاذ[١]

كان السيد جواد العاملي، صاحب مفتاح الكرامة، يتعشى ليلة، وإذا بطارق طرق الباب عليه، عرف أنه خادم السيد بحر العلوم، فقام إلى الباب عجلاً، فقال له الخادم: ان السيد بحر العلوم وضع بين يديه عشاؤه، وهو ينتظرك، فذهب السيد جواد إليه عجلاً، فلما التقيا قال له السيد بحر العلوم: أما تخاف الله، أما تراقبه، أما تستحي منه؟ فقال السيد جواد: ما الذي حدث؟ فقال السيد بحر العلوم: إن رجلاً من إخوانك كان يأخذ من البقال قرضاً لعياله كل يوم وليلة قسباً (نوع من التمر العادي) ليس يجد غير ذلك، فلهم سبعة أيام لم يذوقوا الحنطة والأرز، ولا أكلوا غير القسب، وفي هذا اليوم ذهب ليأخذ قسباً لعشائهم، فقال له البقال: بلغ دينك كذا وكذا فاستحى من

(١) الكنى والألقاب، ج٢ ص٦٠-٦١.

البقال، ولم يأخذ منه شيئاً، فبات هو وعياله بغير عشاء، وأنت تتنعم وتأكل، وهو ممن يصل إلى دارك وتعرفه، وهو فلان.

فقال السيد جواد: والله ما لي علم بحاله، فقال السيد بحر العلوم: لو علمت بحاله وتعشيت، ولم تلتفت إليه، لكنت يهودياً أو كافراً، وإنما أغضبني عليك، عدم تفقدك إخوانك، وعدم علمك بأحوالهم، فخذ هذه الصينية، يحملها لك خادمي، يسلّمها إليك عند باب داره، وقل له: قد أحببت أن أتعشى معك الليلة، وضع هذه الصرة تحت فراشه أو حصيره وابق له الصينية، فلا ترجعها. وكانت كبيرة فيها عشاء، وعليها من اللّحم المطبوخ النفيس ما هو مأكل أهل التنعّم والرّفاه.

وقال السيد بحر العلوم: اعلم أنّي لا أتعشى حتى ترجع إليّ فتخبرني أنه قد تعشى وشبع فذهب السيد جواد ومعه الخادم حتى وصلوا إلى دار المؤمن، فأخذ من يد الخادم ما حمله ورجع الخادم ثم طرق الباب فخرج الرجل فقال له السيد جواد: أحببت أن أتعشى معك الليلة، فلما جلسا قال له المؤمن: ليس هذا زادك لأنك مطبوخ نفيس لا يصلحه العرب، ولا آكل منه شيئاً حتى تخبرني بأمره. فأصر عليه السيد جواد بالأكل، وأصر هو بالامتناع، فذكر له القصّة.

فقال المؤمن: والله ما اطلع علي أحد من جيراننا فضلاً عمن بعد، وإن هذا لشيء عجيب!

٨٣ - الفطور[1]

كان أنس بن مالك يخدم في بيت النبي ﷺ سنين طويلة، وكان مطلعاً على أخلاق النبي ﷺ وعاداته وسيرته، كان يعلم ما يأكل وما يلبس وبأي شكل من البساطة وعدم التكلف يعيش، فقال: كان لرسول الله ﷺ شربة يفطر عليها وشربة للسحور، وربما كانت واحدة وربما كانت لبناً، فهيأتها له ذات ليلة فتأخر ﷺ فظننت أن بعض أصحابه دعاه إلى الفطور وقبل دعوته، حينئذ شربتها أنا، فجاء النبي ﷺ بعد أن انقضى شوط من الليل، فسألت بعض من كان معه: هل أفطر النبي ﷺ في مكان أو دعاه أحد؟ فقال: لا.

قال أنس فبت بليلة لا يعلمها إلّا الله من غمّ أن يطلبها النبي ﷺ ولا يجدها، فيبيت جائعاً ويصبح صائماً. وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة.

(١) كحل البصر - ص٦٧.

٨٤ - البزّاز[١]

كان أبو بكر محمد بن سيرين البصري رجلاً بزّازاً، وكان جميلاً، فعشقته امرأة، وطلبته لتشتري منه بزا[٢] فأدخلته دارها، وطلبت منه الرّفث[٣].

فقال: معاذ الله، وشرع في ذمّ الزنى، فلم ينفع ذلك فخرج من عندها إلى الكنيف[٤]، فلّطخ بدنه بالقذارات، فلمّا رأته المرأة بتلك الهيئة القبيحة تنفرت منه، وأخرجته من دارها.

٨٥ - أوضاع الكواكب[٥]

بالإضافة إلى أنّ عبد الملك بن أعين - أخا زرارة بن أعين - كان راوية للحديث، فإنه كان عالماً بالنجوم ومعتقداً بتأثير الكواكب، وقد جمع كتباً كثيرة حول هذا العلم، وكان كلّما أراد إنجاز حاجة رجع إلى هذه الكتب، وطالع النجوم

(١) الكنى والألقاب، ج١ ص٣٠٨.
(٢) البز: جمى بزوز. الثياب من الكتان والقطن.
(٣) الرفث: كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة في سبيل الاستمتاع بها من غير كناية.
(٤) الكنيف: المرحاض. جمعها كنف وكنف.
(٥) وسائل الشيعة، ج٢ ص١٨١.

والكواكب ليرى ما تحكم به، وبمرور الزمن تعوّد على هذا العمل حتى نشأ في نفسه نوع من الوسواس من جرّائه، بحيث إنه كان يراجع النجوم في كلّ عمل أراد القيام به، وهنا أحسّ بأن هذا العمل قد يهدد حياته، وأصبحتْ وساوسه تزداد يوماً بعد يوم، وأنه إذا استمر هذا الوضع ورتب الأثر على ما تبديه النجوم من سعد الأيام والساعات ونحسها، فإن حياته ستتدهور، وهو مع هذا كلّه لم ير من نفسه القوة على الامتناع عن ذلك، وكان دائماً يحسد الناس ويغبطهم على ما يشاهده منهم: من التوكل على الله في الأعمال، وعدم الاعتناء بمثل هذه الأمور، فذهب إلى الإمام الصادق عليه السلام، وشكا له حاله، فقال: إني قد ابتليت بهذا العلم. فسأله الإمام عليه السلام بتعجب: أمعتقد أنت بهذه الأشياء وتعمل بها؟

- نعم يا ابن رسول الله.

- أنا آمرك فاذهب واحرق كتبك كلّها.

فكان لكلام الإمام، أكبر الوقع في نفسه ومنحه قوة روحية عالية دفعته إلى إحراق كلّ كتبه حيث أراح باله منها.

٨٦ - المنجّم[1]

لمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير بجنده إلى النهروان، جاءه منجم وقال له: يا أمير المؤمنين عندي مطلب أريد أن أخبرك به، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وما هو؟

قال: لا تسر في هذه الساعة، وانتظر حتى تمضي ثلاث ساعات من النهار.

فسأله الإمام عليه السلام مستغرباً: ولم؟

- لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضرر شديد وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت، وظهرت، وأصبت كلّ ما طلبت.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ فرسي حامل، أتدري ما في بطنها؟ هل ذكرٌ أم أنثى؟

- المنجم: إن حسبت علمت.

فقال أمير المؤمنين: من صدقك على هذا القول فقد كذّب بالقرآن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ

---

(١) وسائل الشيعة، ج١ ١٨١ ونهج البلاغة، الخطبة ٧٧.

ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١]. وما كان النبي ﷺ يدّعي ما ادّعيت، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، وتخوّف الساعة التي من سار فيها حاق به الضّر. فمن صدقك بهذا فقد كذّب بالقرآن واستغنى بقولك عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع، وأمن الضّر. ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيّها الناس، إيّاكم وتعلم النجوم، إلّا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار. سيروا على اسم الله.

ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم لا طيرَ إلّا طيرك، ولا ضير إلّا ضيرك، ولا خير إلّا خيرك، ولا إله غيرك.

ثم التفت إلى المنجّم وقال: نحن نعمل بخلاف قولك، ونسير في الساعة التي نهيت عنها، ثم أمر بالحركة والتوجه نحو العدو، حيث كان النصر ينتظره وأصحابه.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

٨٧ - السعي في قضاء حاجة المؤمن[1]

كان صفوان الجمّال حاضراً في مجلس الإمام الصادق عليه السلام، إذ دخل على الإمام رجل من أهل مكة يقال له ميمون، وشكا للإمام تعذّر الكراء عليه، فقال الإمام عليه السلام لصفوان: قم وأعن أخاك على قضاء حاجته. فقام صفوان وذهب مع الرجل، فيسّر الله له كراه، ثم رجع صفوان إلى مجلس الإمام عليه السلام، فسأله الإمام عليه السلام: ما صنعت في حاجة أخيك؟ قال: قضاها الله.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: أما أنك إذا أعنت أخاك المسلم أحبّ إليّ من طواف أسبوع بالبيت.

ثم أضاف: إن رجلاً أتى الإمام الحسن عليه السلام وقال: أعنّي على قضاء حاجة، فتنعّل الإمام وقام معه، فمرّا على الحسين عليه السلام وهو قائم يصلي، فقال الإمام الحسن عليه السلام للرجل: أين كنت عن أبي عبد الله تستعينه على حاجتك؟

قال: أردت أن أعلمه بحاجتي فأخبرني بأنه معتكف.

فقال الإمام عليه السلام: أما أنه لو أعانك، كان خيراً له من اعتكافه شهراً.

---

(١) أصول الكافي، ج٢ ص١٩٨- باب السعي في حاجة المؤمن.

٨٨ - من هو أكثر عبادة[1]

كان يحضر مجلس الإمام الصادق عليه السلام، ويستمع إلى حديثه ودرسه، وكان له أصدقاء وأصحاب يخالطهم، ويحضر مجالسهم، ويتردد عليهم.

غاب عن أنظارهم مدة، ولم يعد يحضر مجالسهم، فتفقده الإمام عليه السلام وسأل عنه، فقالوا له يا بن رسول الله، أصابته الحاجة.

فقال: فما يصنع اليوم؟

في البيت يعبد ربه.

- فمن أين قوته؟

- من بعض إخوانه.

فقال عليه السلام: والله إن الذي يمدّه بالقوت لأكثر عبادة منه.

٨٩ - الاسكندر وديوجينس[2]

عندما انتخب الاسكندر المقدوني قائداً للحملة على إيران، جاء الناس يهنئونه ويباركون له هذا المقام، إلّا أن ديوجينس

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٥٢٩.
(٢) تاريخ علم - جورج سارتن - ترجمة أحمد أرام ص٥٢٥.

الحكيم اليوناني المعروف، الذي كان يعيش في (كورينت) لم يأت لتهنئته، مما حمل الإسكندر على أن يذهب إليه بنفسه، ولمّا جاءه وجده مستلقياً تحت أشعة الشمس، يتمتع بدفء حرارتها، فعندما رأى ديوجينس عظمة المقدوني وجلاله، عرفه، ولكنه لم يعره اهتماماً، وبقي على حالته من الاسترخاء واللامبالاة، فسلّم عليه الإسكندر، وقال له: أعندك حاجة[1].

فقال ديوجينس: لدي حاجة واحدة لا أكثر وهي: إنني كنت أتمتع بنور الشمس، وها أنت الآن منعت نورها عني بوقوفك هذا، تنح قليلاً.

تعجب من كان مع الاسكندر لهذا الكلام، ومن بلاهة ديوجينس في تضييع مثل هذه الفرصة، وعدم الاستفادة منها، ولكنّ المقدوني وجد نفسه حقيراً مقابل إباء واستغناء ديوكنس، وبعد أن رجع قال لأصحابه: لو لم أكن الاسكندر لكنت أفضّل أن أكون ديوجينس.

---

(١) ديوجينس: ٤١٣-٣٢٧ ق.م، فيلسوف يوناني، احتقر الغنى والتقاليد والناس. قضى حياته في برميل. خرج يوماً في منتصف النهار وهو يحمل قنديلاً قائلاً: إنني أبحث عن رجل. (المنجد).

٩٠ - الملك والحكيم[1]

عندما سافر الملك ناصر الدين شاه - شاه إيران - إلى خراسان، كان أهل كلّ مدينة يمرّ بها يخرجون لاستقباله عندما يدخل المدينة، ويودّعونه ويشيّعونه عندما كان يخرج منها.

وعندما دخل مدينة (سبزوار) خرج أهل المدينة لاستقباله إلّا رجل معروف، وهو الفيلسوف الملّا هادي السبزواري، وكان ناصر الدين شاه يتوق إلى رؤية الفيلسوف في هذا السفر، والتحدث معه، فلمّا لم يجده بين المستقبلين صمّم على أن يذهب هو إليه.

فقالوا للملك: إن الحكيم لا يرغب في لقاء الملك أو الوزير..

فقال ناصر الدين شاه: إن الملك يرغب في لقاء الحكيم.

أخبر الملا هادي بذلك، وتحدد موعد زيارة ناصر الدين شاه، وذهب ناصر الدين برفقة أحد ندمائه فلمّا دخل على الملّا هادي، وجده يعيش في منزل بسيط لا يشتمل إلّا على أثاث حقير، وأدوات منزلية بسيطة.

قال ناصر الدين شاه: لكلّ نعمة من النعم شكر، فشكر

---

(١) ريحانة الأدب، ج٢ ص١٥٧-١٥٨.

نعمة العلم هو التدريس والإرشاد، وشكر نعمة المال الإعانة ومساعدة المعوزين، وشكر نعمة السلطان والملك قضاء حوائج المحتاجين، فاطلب مني ما شئت أنجزه لك.

فقال الحكيم الملّا هادي: ليس لديّ حاجة ولا أريد شيئاً.

- سمعت بأنك تملك أرضاً زراعية فأخبرني حتى أعفيها من الضرائب.

- إن الضرائب المفروضة على مدينة سبزوار محدودة، لا يمكن أن تنقص، فإذا خفّفت الضرائب المفروضة على أرضي أو أعفيت أرضي منها، فستدفعها أراضي اليتامى والأرامل، هذا بالإضافة إلى أن مخارج الدولة كثيرة ويجب أن تؤمن كلّها، نحن ندفع هذه الضرائب عن طيب نفس وعن استعداد ورغبة.

فقال ناصر الدين شاه: أريد أن أتناول طعام الغداء في هذا اليوم معك، وأريد أن آكل من الغداء الذي تأكله كلّ يوم، فأرجو أن تحضر الخوان.

فأمر الملّا هادي بأن يحضروا له طعامه، فلمّا أحضر كان طبقاً يحوي أقراصاً من الخبز، واناء من اللبن، وقليلاً من الملح.

قال الملّاهادي لناصر الدين شاه: مدّ يدك فإنه طعام حلال، لأنه نتيجة تعبي، إذ أنا الذي قمت بزراعته.

فذاق منه ناصر الدين شاه شيئاً، فوجده طعاماً خشناً، لأنه لم يتعوّد على مثله، فاعتذر عن تناوله إلّا أنه أخذ قليلاً من الخبز معه تبركاً وتيمناً به. بعد برهة خرج من بيت الملّا هادي، وكلّه حيرة وكلّه تعجّب.

٩١ - توحيد المفضل(١)

روى المفضل بن عمر، قال:

كنت ذات يوم بعد العصر، جالساً في الروضة بين القبر والمنبر - أي في مسجد النبي ﷺ بين قبره ومنبره - وأنا أفكر فيما خصّ الله به سيّدنا محمداً ﷺ من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرّفه به وحباه، ممّا لا يعرفه الجمهور من الأمّة، وما جهلوه من فضله، وعظيم منزلته، وخطر مرتبته، وإني لذلك، إذ أقبل ابن أبي العوجاء، فجلس بحيث أسمع كلامه، فلمّا استقر له المجلس، إذا رجل من أصحابه قد جاء، فجلس إليه، فتكلم ابن أبي العوجاء، فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كلّ أحواله، فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً،

(١) بحار الأنوار - الطبعة الجديدة ج٣ ص٥٧-٥٩.

ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلّت فيها الأحلام، وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر، فلمّا استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء، ودخل الناس في دينه أفواجاً، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليها دعوته، وعلت بها كلمته، وأظهرت فيها حجّته، براً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كلّ يوم وليلة خمس مرات، مردداً في الأذان والإقامة ليتجدّد في كلّ ساعة ذكره لئلا يخمد أمره. فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد ﷺ، فقد تحيّر فيه عقلي، وضلّ في أمره فكري، وحدّثنا في ذكر الأصل الذي يمشي به، ثم ذكر ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك بإهمال، لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع له ولا مدبّر، بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل وما تزال.

قال المفضّل: فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً، فقلت: يا عدوّ الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري - جلّ قدسه - الذي خلقك في أحسن تقويم، وصورك في أتمّ صورة، ونقلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهيت، فلو تفكّرت في نفسك وصدقك ولطيف حسك، لوجدت دلائل الربوبيّة، وآثار

الصنعة فيك قائمه وشواهده - جلّ وتقدّس - في خلقك واضحة، وبراهينه لك لائحة.

فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن تبعت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم، فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا، وإنه الحكيم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، ويسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويستغرق حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظنّنا أنا قد قطعناه، أدحض حجتنا، بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوناً، مفكراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولاي صلوات الله عليه، فرآني مفكراً، فقال: ما لك؟

فأخبرته بما سمعت من الدهريين، وبما رددت عليهما، فقال: لألقينّ عليك من حكمة الباري - جل وعلا وتقدس اسمه - في خلق العالم، والسباع، والطير والهوام، وكل ذي روح من الأنعام والنبات ومن الشجر المثمر وغير ذات الثمر

والحبوب والبقول، المأكول من ذلك وغير المأكول، ما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون، فبكّر عليّ غداً.

قال المفضل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً، وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به، فلما أصبحت غدوت، فاستؤذن لي، فدخلت، وقمت بين يديه، فأمرني بالجلوس فجلست، ثم نهض إلى حجرة كان يخلو فيها، فنهضت بنهوضه، فقال: اتبعني، فتبعته، فدخل ودخلت خلفه، فجلس وجلست بين يديه، فقال: يا مفضل، كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك؟ فقلت: أجل يا مولاي، فقال: يا مفضل، إن الله كان ولا شيء قبله، وهو باق ولا نهاية له، فله الحمد على ما ألهمنا، وله الشكر على ما منحنا، وقد خصّنا من العلوم بأعلاها، ومن المعالي بأسناها، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه. فقلت: يا مولاي، أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه. وكنت أعددت معي ما أكتب فيه. فقال لي: افعل يا مفضل.

استمر الإمام عليه السلام يلقي على المفضّل محاضراته ودروسه أربعة أيام، كانت نتيجتها الكتاب المسمى «بتوحيد المفضّل» الذي يضمّ بين دفتيه حكمة الخالق من خلق الكون والكائنات.

٩٢ - سباق الإبل[1]

كان المسلمون مولعين بسباق الخيل والجمال والرماية، فلقد كان الإسلام يشجع على تعلم فنون الحرب والمهارة فيها، حتى أن النبي ﷺ كان يشترك أحياناً في مثل هذه السباقات، وهذا أفضل تشجيع للشباب المسلمين على تعلّم أصول الحرب وفنونها. حتى ذلك الوقت الذي كان يعمل فيه بهذه السنّة الإسلامية كانت روح الشّهامة والشجاعة محفوظة بين المسلمين.

كان للنبي ﷺ ناقة معروفة بالجري لا تسبق، فظنّ بعض الصحابة السذّج بأنها قادرة على أن تحوز السبق دائماً، لارتباطها الشديد بالنبي ﷺ، وذات يوم سابق النبي ﷺ أعرابياً بناقته وكان الصحابة حاضرين يشاهدون السباق بشغف بالغ واهتمام كبير.

وجاءت نتيجة السباق بخلاف المعهود، حيث سبقت ناقة الأعرابي ناقة النبي ﷺ، ممّا سبّب اكتئاب الصحابة الذين كانوا يعتقدون بأن ناقة النبي ﷺ لا يمكن أن تُسبق لعلاقتها بالنبي ﷺ. فقال لهم رسول الله ﷺ: إنّها ترفّعت، وحق على الله أن لا يترفع شيء إلّا وضعه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٧٢.

وهكذا فإن النبي ﷺ بكلمته هذه، قد بيّن للصحابة اشتباههم، وخطل رأيهم في تقدير نتيجة السباق.

٩٣ - النصراني العطشان(١)

روى مصادف غلام الإمام الصادق عليه السلام قال: كنت مع الإمام الصادق عليه السلام نطوى الطريق بين مكة والمدينة، إذ سقط نظر الإمام الصادق عليه السلام على رجل متكئ على شجرة، فقال لي الإمام عليه السلام: مل بنا إلى الرجل فإني أخاف أن يكون قد أصابه عطش.

فملت إليه فإذا هو رجل من القراشين، طويل الشعر، فسأله الإمام عليه السلام: أعطشان أنت؟

- قال: نعم.

فقال لي الإمام عليه السلام: انزل يا مصادف فاسقه.

فنزلت وسقيته، ثم ركبت وسرنا، فقلت: هذا نصراني، أفتصدق الصدقة على النصارى؟

فقال الإمام عليه السلام: نعم، إذا كانوا في مثل هذه الحال.

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٥٠.

٩٤ - ضيف الإمام علي عليه السلام (١)

ورد على أمير المؤمنين علي عليه السلام، ضيفان: أب وابنه، فقام إليهما، وأكرمهما، وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما ثم أمر بطعام فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطشت وابريق خشب ومنديل، وجاء ليصب على يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ منه ليصب على يد الرجل فامتنع الرجل، وقال: يا أمير المؤمنين، الله يراني وأنت تصب على يدي، قال أمير المؤمنين عليه السلام: اغسل فإن الله عزّ وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز عنك يخدمك فيزيد بذلك في خدمته في الجنة.

فاستوى الرجل ليغسل يديه فقال له الإمام عليه السلام: أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته، أن تغسل يديك مطمئناً، كما كنت تغسل لو كان الصابّ على يديك قنبراً، ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإمام عليه السلام الابريق إلى ابنه محمد بن الحنفية، وقال: يا بني، لو كان هذا الابن حضرني من دون أبيه، لصببت على يده، ولكن الله عزّ وجلّ يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، وقد صبّ الأب على الأب، فليصب الابن على الابن، فصبّ محمد بن الحنفية على يد الابن.

---

(١) بحار الأنوار - طبعة تبريز - ج٢ ص٥٩٨.

روى هذا الحديث الحسن العسكري عليه السلام، ولما انتهى منه أضاف قائلاً: فمن اتّبع علياً عليه السلام على ذلك فهو الشيعي حقاً.

٩٥ - مرضى الجذام[1]

كان في المدينة عدد من الأفراد المصابين بالجذام، وكانوا بالإضافة إلى تألمهم الجسدي يتألمون نفسياً لابتعاد الناس وتنفرهم عنهم. فمرّ عليهم ذات يوم علي بن الحسين عليه السلام، وهو راكب حماراً وكانوا يتغدون فدعوه إلى الغداء، فقال: أما لولا أني صائم لفعلت. ثم دعاهم إلى منزله لتناول طعام الغداء لليوم التالي، فلمّا سار الإمام إلى منزله، أمر بطعام فصنع. ولما حضر الضيوف في اليوم التالي مدّ الخوان وأكل الجميع، وأكل الإمام عليه السلام معهم.

٩٦ - ابن سيابة[2]

كان عبد الرحمن بن سيابة فتًى يانعاً عندما توفي أبوه، وكان موت أبيه يؤلمه من جهة، والفقر والبطالة يؤذيانه من جهة أخرى.

---

(١) الوسائل، ج٢ ص٤٥٧.

(٢) سفينة البحار، ج٢، مادة «عبد».

طرق عليه الباب ذات يوم رجل وكان من رفاق أبيه، فعزّاه وسلاه، ثم سأله: هل ترك أبوك شيئاً؟

فقال: لا.

فدفع الرجل إليه كيساً فيه ألف درهم، وقال له: احفظها وكل فضلها. ثم عاد الرجل من حيث أتى، ودخل عبد الرحمن البيت فرحاً مسروراً، وأخبر أمه بذلك، ولما كان العشاء، ذهب إلى صديق من أصدقاء أبيه، وطلب منه أن يشتري له بضائع، فما كان الغد حتى جلس في حانوت يبيع ويشتري. وبمرور الأيام رزقه الله خيراً كثيراً، ودرّت عليه تجارته ربحاً وفيراً، وما أن حلّ موسم الحج حتى صمم على السفر لأداء فريضة الحج، وأخبر أمه بتصميمه، فقالت له: ردّ دراهم فلان عليه أولاً، ثم هيىء نفسك للسفر.

فذهب عبد الرحمن إلى الرجل، ودفع إليه دراهمه، فظنّ الرجل بأن الدراهم كانت قليلة، فقال لعبد الرحمن: لعلّك استقللتها فأزيدك.

فأجابه عبد الرحمن: لا ولكن وقع في قلبي الحج، وأحببت أن تكون دراهمك عندك.

وبعد أن سافر إلى مكة، وأدى مناسك الحج، ذهب إلى المدينة، ودخل على أبي عبد الله عليه السلام مع من دخل من

الناس، وجلس خلفهم، فأخذ الناس يسألون الإمام عليه السلام وهو يجيبهم فلمّا خف الناس، أشار الإمام عليه السلام إلى عبد الرحمن، بأن يدنو منه، فلمّا دنا منه.

سأله: ألك حاجة؟

فقال: أنا عبد الرحمن بن سيابة.

- ما فعل أبوك؟

- هلك.

فلمّا سمع الإمام عليه السلام ذلك، توجع، وترحّم، ثم سأله:

- أترك شيئاً؟

- لا.

- فمن أين حججت؟

فحكى عبد الرحمن للإمام عليه السلام قصة الرجل، وما أن انتهى من حكايته حتى سأله عليه السلام: فما فعلت بدراهم الرجل؟

فقال: رددتها إليه.

فقال له الإمام عليه السلام: قد أحسنت، ثم قال له: ألا أوصيك؟

- بلى جعلت فداك.

- عليك بصدق الحديث، وأداء الأمانة تشرك الناس في أموالهم.

٩٧ - ضيف القاضي[١]

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إن رجلاً نزل بأمير المؤمنين، فمكث عنده أياماً، ثم تقدم إليه في خصومة لم يذكرها له، فقال له أمير المؤمنين: أخصم أنت؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: تحوّل عنّا، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نهى أن يضاف الخصم إلّا ومعه خصمه.

٩٨ - كلام البقالين[٢]

عندما دعا المأمون الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى خراسان، وقلده ولاية العهد بشروط خاصة، كان أخوه - زيد النار - في خراسان أيضاً.

كان المأمون آنذاك غاضباً على زيد غضباً شديداً، لأنه كان قد قام في المدينة بانقلاب ضده، إلّا أن سياسته كانت تقتضي أن يحترم الإمام الرضا عليه السلام في أخيه زيد، وأن يصرف النظر عن قتله أو حبسه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٣ ص٣٩٥.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠ ص٦٥.

كان الإمام ذات يوم في مجلس عام، وحوله أصحابه وجماعته يحدّثهم بحديثه، ويملأ أسماعهم بنصائحه وحكمه ومواعظه وكان أخوه زيد حاضراً في المجلس أيضاً، وقد جذب انتباه جماعته من أهل المجلس بالحديث الذي كان يمدح فيه نفسه وأسرته، ويفتخر بهم، فعندما التفت إليه الإمام عليه السلام وسمع حديثه، قال له: يا زيد أغرك قول بقال الكوفة: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار، حتى صرت تكرّره على الناس وتحشو به أسماعهم، ما هذه الأقوال التي تلقيها عليهم؟ فوالله: ما ذاك إلّا الحسن والحسين وولد بطنها خاصة. إذا كان الأمر كما تقول، وإن أبناء فاطمة يتمتعون بوضع خاص، وإنهم من السعداء على كلّ حال، فأنت - على هذا - أفضل وأعز عند الله من موسى بن جعفر، وإنك الرابح والسعيد، لأنه يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله، وأنت تعصيه ثم تجيئان يوم القيامة سواء، إنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يقول:

«لمحسننا ضعفان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب».

كما صرّح القرآن بذلك بالنسبة إلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه من عمل منا عملاً صالحاً، ففي الحقيقة قد عمل عملين،

أحدهما أنه عمل عملاً صالحاً، وثانيهما أنه احترم النبي ﷺ في ذلك، ومن عمل عملاً سيئاً فكأنما أساء مرّتين، أحدهما أنه عمل عملاً سيئاً، وثانيهما أنه لم يحفظ مقام النبي ﷺ واحترامه في ذلك.

ثم التفت الإمام عليه السلام إلى الحسن الوشاء، وكان حاضراً في المجلس، وقال: يا حسن كيف تقرأون هذه الآية: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[1].

- يا ابن رسول الله، البعض يقرأونها كما نزلت ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ أما الّذين لا يعتقدون بأن الله يعذّب أبناء الأنبياء، فيقرأونها ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾، ويقولون أيضاً بأن الله أخبر نوحاً بأنه ليس ابناً لك، وإذا كان من نسلك، كنت أنجيته لأجلك.

فقال الإمام عليه السلام: كلا لقد كان ابنه ولكنه لما عصى الله عزّ وجل، نفاه الله عن أبيه. وقطع صلته المعنوية به، وقال له بأنه غير صالح، لذا لا يمكن أن يجمع مع الصالحين وكذا من كان منا ولم يطع الله فليس منّا يا حسين - إذا أطعت الله فأنت منّا أهل البيت.

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

٩٩ - الشيخ والصغيران

مرّ الحسن والحسين عليهما السلام على شيخ يتوضأ، فوجداه لا يحسن الوضوء، وكانا عليهما السلام آنذاك طفلين صغيرين، إلّا أن الواجب الديني يحتّم عليهما بأن يرشداه ويعلماه كيفية الوضوء الصحيح، ولكن كيف يعلمان بأنه لا يتأثر نفسياً إن هما قالا له بأن وضوءك غير صحيح، ولا يولّد هذا التوجيه أثراً سيئا في نفسه، إضافة إلى أنه ربما اعتبر هذا الإرشاد بمثابة تحقير موجّه إليه، فيتمادى في العناد، ويلحّ في اللجاجة.

فكّر الطفلان مدّة، حتى انبثق في ذهنيهما أنهما يستطيعان أن يرشداه إلى الصّواب بصورة غير مباشرة. لجآ حينئذ إلى التنازع الظاهري فيما بينهما، فأخذ كل واحد منهما يقول للآخر:

أنت لا تحسن الوضوء. وأخيراً، اتفقا على أن يجعلا الشيخ حكماً بينهما، فتقدما إليه، وقالا له: أيها الشيخ كن حكماً بيننا. وافق الشيخ على ذلك، فتوضأ كلّ منهما والشيخ ينظر، ثم قالا: أينا يحسن؟ قال: أنتما تحسنان الوضوء، ولكنّ الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن الوضوء، وتعلم منكما[١].

---

(١) بحار الأنوار، ج١ ص٩٨.

١٠٠ - وصية سعد[1]

شاع بين المسلمين في حرب أحد بأن النبي ﷺ قد قتل مما صار سبباً في انهزام المسلمين وتفرّق صفوفهم. وعندما علم الكفار بأن النبي ﷺ لم يقتل، وأن ما شاع بينهم كان كذباً محضاً اكتفوا بما كسبوا من غنائم، وبما نالوا من انتصار، وولّوا الأدبار.

فقد المسلمون في هذه الحرب كثيراً من رجالهم، وجرح منهم كثير، وكان ممن جرح وأثقلته جراحاته فسقط صريعاً، سعد بن الربيع. في هذا الوقت مرّ مالك بن الدخشم عليه وقال له: أعلمت أن محمداً قتل؟ فقال سعد: أشهد أن محمداً قد أبلغ رسالة ربه. فقاتل أنت عن دينك، فإن الله حيّ لا يموت.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، أخذ النبي ﷺ يفتقد أصحابه واحداً واحداً، ليعلم أيهم قتل وأيهم جرح، وأيهم سلم من ويلات الحرب وأذاها، فقال: ألا من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟

فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر يا رسول الله ما فعل.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج.٣ طبعة بيروت ص٥٧٤ وسيرة ابن هشام، ج٢ ص٩٤.

فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟.

قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ مني السلام، وقل إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك السلام عني، وقل لهم: إنّ سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذر لكم عند الله، أن يخلص العدو إلى نبيّكم ومنكم عين طرف. قال مالك: فلم أبرح عنده حتى مات.

١٠١ - الدعاء المستجاب[1]

«اللّهم لا تردّني إلى أهلي»

سمعت هذه الجملة من زوجها - عمرو بن الجموح - عندما لبس لامة حربه واتجه ليشترك مع المسلمين، ولأول مرة، في معركة أحد، كانت المرة الأولى التي يساهم فيها عمرو بن الجموح بالجهاد مع المسلمين، لأنه كان أعرج، وطبقاً للآية الكريمة: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[2] فإنه كان معذوراً من الجهاد، بالإضافة

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج٣ ص٥٦٦ - دار الفكر - بيروت.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.

إلى ذلك، فقد كان له بنون أربعة يشهدون مع النبي ﷺ المشاهد، ولم يكن يظنّ أحد بأن عمراً مع ما هو عليه من العذر الشرعي يحمل سلاحاً ويلتحق بجيش المسلمين للاشتراك في هذه المعركة.

لهذا السبب أراد قومه أن يمنعوه فقالوا له: أنت رجل أعرج ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوك مع النبي ﷺ، قال: أيذهبون إلى الجنة وأجلس أنا معكم؟ ولمّا لم يجد بداً من التخلّص منهم، ذهب إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، إنّ قومي يريدون أن يحبسوني عن الجهاد والخروج معك، والله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

- أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك.

- أنا أعلم - يا رسول الله - بأن الجهاد غير واجب عليّ، ولكنّي مع ذلك أريد الذهاب.

فقال النبي ﷺ لقومه: لا عليكم أن تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة، فخلّوا عنه.

كان عمرو بن الجموح يحارب في الرعيل الأول، وهو يعرج في مشيته، وكان يقول: «أنا والله مشتاق إلى الجنة» وكان ابنه يعدو في أثره حتى قتلا، بعد أن حاربا شوقاً بالموت وزهداً في الحياة، وبعد أن خمدت نار الحرب الشؤوم، عادت النساء

وكانت عائشة مع من عاد منهنّ، وفي الطريق وقع نظرها على هند زوجة عمرو بن الجموح، وهي تقود بعيراً متجهة جهة المدينة، فسألتها: عندك الخبر فما وراءك؟

- خير، أمّا رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل، ردّ الله الذين كفروا بغيظهم.

- من هؤلاء القتلى؟

- أخي وابني وزوجي.

- إلى أين تذهبين بهم؟.

- إلى المدينة أقبرهم.

قامت هند، وقادت بعيرها نحو المدينة، كان البعير يمشي متثاقلاً نحو المدينة، وأخيراً برك، فقالت عائشة: برك بعيرك لثقل ما مل.

- لا، ليس لهذا السبب لأنه قوي جداً ولربما حمل ما يمله البعيران، يجب أن يكون هناك سبب آخر، وزجرته فقام، فلمّا وجّهت به إلى المدينة، برك مرة أخرى، فلمّا وجّهته راجعة إلى أحد أسرع في مشيه. فمّا رأت (هند) هذا الوضع العجيب من بعيرها، رجعت إلى النبي ﷺ وقالت له: يا رسول الله، إني وضعت جسد أخي وابني وزوجي على البعير، حتى أقبرهم في المدينة ولكن هذا الحيوان لا يقبل بالمسير إلى المدينة، ويتجه بسرعة إلى أحد.

فقال النبي ﷺ: إنّ الجمل لمأمور.

هل قال عمرو زوجك شيئاً - عندما توجه إلى أحد؟.

- نعم يا رسول الله، إنه لما توجه إلى أحد، استقبل القبلة، ثم قال: اللّهم لا تردّني إلى أهلي وارزقني الشهادة.

- ولذلك لا يمضي الجمل نحو المدينة، إن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يرجع هذا الجسد إلى المدينة، ثم قال ﷺ: إنّ منكم يا معشر المسلمين من لو أقسم على الله لاستجاب له ومنهم زوجك عمرو بن الجموح.

بعد ذلك، أمر النبي ﷺ بدفنهم في أحد فدفنوا، ثم قال لهند: قد ترافقوا في الجنة جميعاً عمرو بن الجموح بعلك، وخلاد ابنك، وعبد الله أخوك.

- يا رسول الله، فادع الله لي عسى أن يجعلني معهم.

١٠٢ - رد الجوار[١]

روى ابن إسحاق، أن عثمان بن مظعون أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه المسمى «بالسائب» مع

(١) أسد الغابة، ج٣ ص٣٨٥-٣٨٦ وسيرة ابن هشام، ج١ ص٣٦٤-٣٧٠.

جماعة من المسلمين، فبلغهم وهم بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت فعادوا فلما دنوا من مكة، علموا بأن ما بلغهم من اسلام قريش كان كذباً، فثقل عليهم أن يرجعوا، وتخوّفوا أن يدخلوا مكة، ولكن عثمان بن مظعون قدم بجوار الوليد بن المغيرة، ولكنه لما رأى ما يلقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال: والله إنّ غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل بيتي يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص شديد في نفسي. فمضى إلى الوليد بن المغيرة، فقال: يا أبا عبد شمس، وفيت ذمتك، فلقد كنت في جوارك، وأحببت أن أخرج إلى رسول الله ﷺ فلي به وبأصحابه أسوة.

فقال الوليد: فلعلك يا ابن أخي أوذيت أو انتهكت.

قال: لا، ولكن أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره.

فقال الوليد: فانطلق إلى المسجد واردد عليّ جواري علانية كما أجرتك علانية.

خرج عثمان بن مظعون والوليد حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليردّ عليّ جواري، فقال عثمان بن مظعون، صدق لقد وجدته وفياً، كريم الجوار، وقد

أحببت أن لا أستجير بغير الله عزّ وجل، وقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان ابن مظعون، وذهب وجلس في مجلس قريش وكان لبيد بن أبي ربيعة الشاعر المعروف جالساً في مجلسهم.

فقال لبيد وهو ينشدهم: «ألا كلّ شيء ما خلال الله باطل».

فقال عثمان: صدقت، ولما قال لبيد: وكلّ نعيم لا محالة زائل. قال عثمان: كذبت، فالتفت القوم إليه، فقالوا للبيد: أعد علينا، فأعاد علينا، وأعاد عثمان تكذيبه مرة وتصديقه مرة. وكان عثمان يعني بقوله: كذبت، أن نعيم الجنة لا يزول. ثم قال لبيد: والله يا معشر قريش ما كنت مجالسكم هكذا، فقام سفيه منهم إلى عثمان بن مظعون فلطم عينه فاصفرت، فقال له من حوله: والله يا عثمان لقد كنت في ذمة منيعة، وكانت عينك غنية عمّا لقيت.

فقال عثمان: جوار الله آمن وأعزّ، وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها، ولي برسول الله ﷺ وبمن آمن معه أسوة.

١٠٣ - الهتاف الأول[1]

لمّا سمع أبو ذر بظهور رجل في مكة يدعو الناس إلى دين جديد، حاول أن يطلع على الحقيقة الواقعة، لأنه كان ميالاً إلى معرفة كنه الأشياء وحقائق الأمور، فقال لأخيه:

اركب إلى هذا الوادي - أي مكة - فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخير من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني. فانطلق الأخ، حتى قدم وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلاماً ما هو بالشعر.

فقال: ما شفيتني مما أردت.

فتزوّد وحمل قربة له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ وهو لا يعرفه، كره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فاضطجع هناك، فمرّ به عليّ فعرفه أنه غريب، فلما رآه أبو ذر تبعه، ولكن لم يسأل أحدهما صاحبه عن شيء. وبدون أن يعلم أبو ذر من هو ذلك العابر، رجع إلى مكانه.

وفي اليوم الثاني، احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظلّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ، حتى أمسى فعاد إلى مضطجعه،

(١) أسد الغابة ج٥ ص١٨٧.

فمرّ به الإمام علي عليه السلام فقال له: أما آن للرجل أن يعلم منزله، فأقامه وذهب به إلى بيته من دون أن يسأل أحدهما الآخر عن شيء، حتى كان اليوم الثالث، فقال له علي: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟

قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. فأعطاه علي ميثاقاً على ذلك، فقص عليه سبب مجيئه، فقال له علي: إذا أصبح الصباح فاتبعني، فلما أصبح الصباح، ذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو ذر، فلما سمع أبو ذر كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسلم من وقته.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري.

قال: والذي نفسي بيده، لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم، فخرج إلى المسجد الحرام فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، فجاء العبّاس فأكب عليه، وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأنها طريق تجارتكم إلى الشام، فأنقذه منهم.

رجع أبو ذر بعد ذلك إلى قومه، وأخذ يدعوهم إلى الإسلام ويعلمهم القرآن.

كان أبو ذر حتى أخريات عمره يقطن المدينة، ولكنه نفي إلى (الربذة) في زمن عثمان حتى مات هناك وحده، فصحت كلمة النبي ﷺ في حقه، حيث قال ﷺ: «يرحم الله أبا ذر يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده».

١٠٤ - مع القائد رستم[1]

عسكرت جيوش المسلمين قرب القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص استعداداً للحرب مع الفرس، وكانت جيوش الفرس هي الأخرى قد نزلت بالقرب منها، بقيادة رستم.

وقبل أن تندلع الحرب بين الطرفين، أرسل رستم إلى زهرة بن عبد الله وكان على مقدمة جيش المسلمين، يطلب حضوره.

وإنما طلب رستم حضور زهرة لأجل أن يصالحه ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرّح له بذلك، بل قال له: كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم.

فقال له زهرة: ليس أمرنا أمر أولئك، إنّا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا وهمّتنا الآخرة، وقد كنّا كما ذكرت إلى أن

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٢ ص٣١٩-٣٢١ وقائع العام الرابع عشر للهجرة.

بعث الله فينا رسولاً، فدعانا إلى ربّه، فأجبناه، فقال لرسوله: إنّي سلّطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فأنا منتقم بهم منه وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلّا ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلّا عزّ.

فقال له رستم: ما هو؟ قال: أما عموده الذي لا يصلح إلا به، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله.

قال: وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، والناس بنو آدم وحوّاء إخوة لأب وأم.

قال رستم: أرأيت إن أجبت، إلى هذا ومعي قومي كيف يكون أمركم، أترجعون؟

فأجاب زهرة: أي والله.

فقال رستم: صدقتني، لكن أهل فارس منذ ولي أردشير، لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدّوا طورهم، وعادوا أشرافهم.

فقال زهرة: نحن خير الناس للناس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون، بل نطيع الله في السفلة ولا يضرّنا من عصى الله فينا.

ولما انصرف دعا رستم رجال فارس، فذاكرهم في الأمر، فاقترحوا عليه، أن يتذاكر مع سعد: أن أبعث إلينا رجلاً نكلّمه

ويكلّمنا. فدعا سعد جماعة ليرسلهم إليهم، فقال له ربعي بن عامر، متى نأتهم جميعاً، يروا أنّا قد احتفلنا بهم، فلا تزدهم على رجل.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة، وأعلم رستم بمجيئه، فأظهر زينته، وجلس على سرير من ذهب، وفرش السجاجيد والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي إلى فرسه وسيفه في غمده ورمحه مشدود بعصب.

فلما انتهى إلى السجاجيد، قيل له: انزل، فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما، فلم ينهوه وأروه التهاون، فأخذ عباءة بعيره، فتدرعها وشدها على وسطه.

فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فأخبروا رستم فقال ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوة، فلم يدع لهم نمراً ولا بساطاً إلا أفسده، فلمّا دنا من رستم جلس على الأرض، وركز رمحه على البسط، فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنّا لا نستحب القعود على زينتكم، فقال له ترجمان رستم: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان على عدل الإسلام، فارسنا بدينه

إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قتلناه؟ حتى نفضي إلى الجنة الظفر.

فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال: نعم، وإن مما سنّ لنا رسول الله ﷺ أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزية فتقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع إلّا أن تبدأ بنا أنا كفيل بذلك عن أصحابي.

قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد، بعضهم من بعض يجبر أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم كلاماً قطّ أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب. أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويحكم، لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة.

إلا أن كلماته لم تجد أذناً صاغية من أصحابه، فلقد كانوا من الغرور بحيث ما استطاعوا أن يدركوا الحقائق الواضحة.

فلما رأى رستم موقف أصحابه، وأنهم لم يستجيبوا له ولم يوافقوا على رأيه وبعد أن فشلت المباحثات مع ممثلي

المسلمين من جهة ومع زعماء جيشه من جهة، نزل عند رغبة أصحابه، فاستعدّ للحرب التي اندحر فيها اندحاراً شديداً لم يشهد التاريخ نظيره. وكان من نتيجة تلك الحرب أن فقد رستم حياته وذلك لتأثره بآراء الآخرين.

١٠٥ - الدعاء في الليل[1]

عن عائشة، أنها قالت: لمّا كانت ليلتي التي يبيت النبي ﷺ فيها عندي، رأيته انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنّي قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج، ثم أجافه (أغلقه) رويداً فاختمرت، وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع. فقام، فأطال القيام ثم رجع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فسبقته فدخلت البيت فليس إلا أن اضطجعت فدخل.

فقال: ما لك يا عائشة، حشياء[2]؟

---

(١) مسند أحمد، ج٦ ص٢٢١.

(٢) الحشي: المصاب بالربو، وقوله حشياء أي أنها تتنفس تنفس المصاب بالربو.

قالت: قلت: لا شيء يا رسول الله.

قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير.

قالت: فأخبرته بما جرى.

قال ﷺ: فأنت السواد الذي رأيت أمام.

- نعم.

قالت: فلهزني في ظهري لهزة فأوجعتني (أي ضربني بلطف).

ثم قال: أظننت أن يحيف عليك الله ورسوله.

قالت: فقلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله.

قال ﷺ: نعم، فإنّ جبريل عليه السلام أتاني حين رأيتِ، فناداني فأخفاه منك، فأجبته خفية منك ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أنك قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي فقال: إنّ ربك جلّ وعز يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم.

فقالت عائشة: فقلت له: فكيف أقول يا رسول الله، إذا أردت.

فقال ﷺ: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله للاحقون.

١٠٦ - منهج العمل[1]

بعد مقتل عثمان بن عفّان، بايع الناس الإمام علي عليه السلام على الخلافة، فلما بويع عليه السلام صعد المنبر في اليوم الثاني من البيعة، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر محمداً فصلّى عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا فزهّدهم فيها، وذكر الآخرة فرغّبهم إليها. ثم قال: أما بعد، فإنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمراً فعمل بطريقه، ثم جعلها شورى بين ستة، فأفضى الأمر منهم إلى عثمان، فعمل ما أنكرتم، فعرفتم، ثم حصر وقتل، ثم جئتموني طائعين، فطلبتم إلي وإنّما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعلي ما عليكم وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر، وإني حاملكم على منهج نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنفذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لي وبالله المستعان، إلا أن موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كموضعي من أيام حياته لما تؤمرون به، وقفوا عندما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتى نبيّنه لكم، فإنّ لنا عن كل أمر تنكرون

---

(١) نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد - دار الفكر - بيروت ج٢ ص٢٧١-٢٧٤.

عذراً، الا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أنّي كنت كارهاً للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّما وال ولي الأمر من بعدي، أقيم على حدِّ الصراط، ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلاً، أنجاه الله بعدله، وإن كان جائراً انتفض به الصراط حتى تتزايل مفاصله، ثم يهوي إلى النار، فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحرّ وجهه» ولكني لمّا اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم.

ثم التفت عليه السلام يميناً وشمالاً، فقال: ألا لا يقولون رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العفار، وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الرقفة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأمرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا، ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، يرى أن الفضل له علي من سواه لصحبته، فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله، وأيّما رجل استجاب له وللّرسول فصدّق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسّية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً

أحسن الجزاء وأفضل الثواب. ولم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار، وإذا كان غد ان شاء الله، فاغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا عجمي كان أهلاً للعطاء أو لم يكن إلا حضر، إذا كان مسلماً حراً. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

فلما كان من الغد، غدا الناس لقبض المال، فقال عليه السلام لكاتبه: اعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم، فقال نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضّل أحداً على أحد، وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمرو (سعيد بن العاص) ومروان بن الحكم، ورجال من قريش وغيرهم.

وبينما كان الناس مجتمعين في المسجد في اليوم التالي، إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي عليه السلام ثم دخل مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير، فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعة ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط. فجاء إلى علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي

يوم الدار بالأمس، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب، وأما مروان فسّخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنّا إن خفناك تركناك، والتحقنا بالشام.

فقال علي عليه السلام : أما ما ذكرتم من وتري إيّاكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أومنكم، وإن خفتكم أن أسيركم.

فقام الوليد إلى أصحابه، فحدّثهم وافترقوا على إظهار العداوة، وإشاعة الخلاف.

فقام بعض من أصحاب علي عليه السلام ودخلوا عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين انظر في أمرك، وعاتب قومك هذا الحيّ من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك وقد دعونا في السرّ إلى رفضك هداك الله لرشدك، وذاك لأنهم كرهوا الأسوة، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوّك وعظموه أظهروا الطلب بدم عثمان، فرقةً للجماعة، وتألفاً لأهل الضلالة، فرأيك.

فخرج علي عليه السلام فدخل المسجد، وصعد المنبر مرتدياً طاقاً، ومؤتزراً ببرد قطري متقلداً سيفاً، متوكئاً على قوس فقال:

أما بعد، فإنا نحمد الله ربنا، وإلهنا ولينا ووليّ النعم علينا، الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة، امتناناً منه بغير حول منا ولا قوة ليبلونا، أنشكر أم نكفر، فمن شكر زاده، ومن كفر عذّبه، فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة، وأطوعهم لأمره، وأعملهم بطاعته، وأتبعهم لسنة رسوله، وأحياهم لكتابه، ليس لأحد عندنا فضل إلّا بطاعة الله وطاعة الرسول، هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك الا جاهل عائد عن الحق منكر، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١).

بعد هذه الخطبة اتضح للناس بأن الإمام علياً عليه السلام جادّ في منهج عمله، فالتحق واستعد لحربه من استعد، أمثال طلحة والزبير ومروان، واختار فريق ثالث العزلة والانزواء.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

١٠٧ - أراقد أم رامق؟[١]

روى حبة بن جوين بن علي بن فهم بن مالك، أبو قدامة العرين الكوفي، قال: بينا أنا ونوف نائمين في رحبة القصر (قصر الإمارة في الكوفة)، إذ نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبيه الواله، وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٣]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٤]، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[٥]، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[٦].

---

(١) بحار الأنوار، جلد ٩ - طبعة تبريز ص٥٨٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٢.
(٥) سورة آل عمران الآية: ١٩٣.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.

قال حبة: ثم دنا الإمام علي عليه السلام مني، وقال لي: أراقد أنت يا حبّة أم رامق؟ قلت: رامق، يا أمير المؤمنين. أنت أمير المؤمنين، تعمل هذا فكيف نحن؟ أرخى الإمام عليه السلام عينيه وبكى، ثم قال لي: يا حبة، إنّ لله موقفاً ولنا بين يديه موقفاً، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا، يا حبة إنّ الله أقرب إليّ وإليك من حبل الوريد، يا حبة إنه لا يحجبني وإيّاك عن الله شيء.

ثم توجّه عليه السلام إلى نوف وقال: أراقد أنت يا نوف؟

قال: لا يا أمير المؤمنين، ما أنا براقد وقد أطلت بكائي هذه الليلة.

فقال عليه السلام: يا نوف إن طال بكاؤك في هذه الليلة مخافة من الله تعالى، قرّت عينك غداً بين يدي الله عزّ وجل. يا نوف: إنه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله إلا أطفأت بحاراً من النيران، إنه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله تعالى من رجل بكى من خشية الله، وأحبّ في الله وأبغض في الله. يا نوف: إنه من أحب في الله لم يستأثر على محبّته، ومن أبغض في الله لم ينل ببغضه إلا خيراً.

يقول حبة: ثم وعظنا الإمام وأنذرنا، وواصل أدراجه يمشي ويقول: ليت شعري في غفلاتي، أمعرض أنت عني أم

ناظر إليّ، وليت شعري في طول منامي، وقلّة شكري في نعمك عليّ ما حالي.

قال حبة ونوف: وما زال الإمام عليه السلام على هذه الحالة حتى طلع الفجر.

١٠٨ - قتل الإمام علي عليه السلام [١]

لمّا رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك، احتال بمكره حيلته وأوقف الحرب.

كانت حيلته بأن شاور معاوية في رفع المصاحف، فرفعوها بالرماح، وقالوا: هذه حكم كتاب الله عزّ وجل بيننا وبينكم، فلمّا رآها الناس، قال بعضهم ممن ينخدع بظواهر الأمور: نجيب إلى كتاب الله.

فقال لهم علي عليه السلام: عباد الله، امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم، ويحكم والله ما رفعوها إلا ذريعةً ووهناً ومكيدة: فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى قبوله.

(١) الكامل في التاريخ، ص٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ج٣.

لم تجد النصيحة فيهم أيّ فائدة، حيث قال له بعضهم: يا علي أوجب إلى كتاب الله عزّ وجل، إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عثمان!

فرح معاوية وعمرو بن العاص للنتيجة التي أسفرت عنها حيلتهم، حيث بذروا بذور الشقاق في صفوف علي عليه السلام، وظلت آثارها الخطرة محيطة بالدولة الإسلامية وبالمسلمين، ومن ذلك الوقت تشكلت فرقة الخوارج حيث خرجوا على الإمام علي عليه السلام في هذه الحرب المذكورة ورضوا بحكم الحكمين.

وقد عيّن عمرو بن العاص ممثلاً لمعاوية، وأراد الإمام علي عليه السلام أن يعيّن ابن عباس ممثلاً عنه، وكان حريفاً لعمرو، ولكن الخوارج لم يرضوا به، بل قالوا: رضينا بأبي موسى الأشعري لأنا لا نريد الا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

وانتهى حكم الحكمين بشكل فقد فيه حديثه وأصالته، وأسفرت النتيجة بتوقف الحرب، وهذا كلّ ما كان يبغيه معاوية وعمرو من وراء حيلتهما، وعرض الحكم على الخوارج، فقال بعضهم: تحكمون الرجال في أمر الله ولا حكم إلا لله.

فقال علي عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وانه لا بدّ

للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيه الكافر ويبلغ الله فيه الأجل، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو، وتؤمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستخرج بر ويستراح من فاجر[١].

ومن هذه الناحية، فقد اعتبر الخوارج أنفسهم مذنبين لأنهم حكموا غير الله، فتابوا إلى الله بعد ذلك، وطلبوا إلى الإمام علي عليه السلام أن يتوب، فكان جوابه لهم بأن متاركته والرجوع إلى الحكم كان اشتباهاً، وكنتم أنتم المسؤولون عن هذا الاشتباه، وأما عدم جواز الحكم مطلقاً فليس بصحيح. بهذا السّبب كفّر الخوارج الإمام علياً عليه السلام، واعتبروه خارجاً عن الدين ولكنه عليه السلام لم يكن يتعرض لهم حتى مع تكفيرهم إيّاه، فكان يؤدي لهم حقوقهم من بيت المال، ولم يكن يتعرض لعقائدهم، فلمّا ثاروا عليه تحت عنوانِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نكل بهم شرّ تنكيل، وانتصر عليهم في حرب النهروان.

ولمّا كان ظاهرهم مليحاً، حيث كانت علامات السجود ظاهرة على جباههم، وكانوا يتلون القرآن كثيراً - فقد كان

(١) نهج البلاغة - الخطبة (٤٠).

الصراع معهم، وكانت مبارزتهم أمراً صعباً، ولهذا كان الإمام علي عليه السلام يفتخر بمبارزته معهم ويعتبرها من الأعمال المهمة، حيث قال: أنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها غيري بعد أن ماج غيًّا واشتد كلبها[١].

قضى الإمام علي عليه السلام على الخوارج في حرب النهروان قضاء تاماً، ولم يبق منهم بعد هذه الحرب إلا زمرة قليلة وجدت طريقها إلى الفرار.

بعد انتصار علي عليه السلام على الخوارج في حرب النهروان وتشتتهم، اجتمع نفر منهم بمكة وكانوا ثلاثة فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم، وعابوا أعمالهم عليهم، وذكروا أهل النهروان، وترحموا عليهم وقال بعضهم لبعض، فلو اشترينا أنفسنا لله عزّ وجلّ فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرّتهم، فأرحنا منهم العباد والبلاد، وثأرنا لإخواننا الشهداء بالنهروان، فتعاقدوا على ذلك عند انقضاء الحج، فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، فتعاقدوا وتوافقوا على الوفاء، على أن يخذل واحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ولا عن قتله على أن يكون في الليلة التاسعة عشرة أي في الليلة

---

(١) نهج البلاغة - الخطبة (٩١).

التي قتل فيها ابن ملجم أمير المؤمنين علياً عليه السلام أما الرجلان الآخران فهما البرك بن عبد الله التميمي وهو صاحب معاوية، والآخر عمرو ابن بكر التميمي وهو صاحب عمرو بن العاص[1].

أما معاوية فقد نجا من يد صاحبه بصورة من الصور، وأما عمرو ابن العاص فقد مرض في تلك الليلة، فاستخلف رجلاً يصلي بالناس يقال له خارجة، فخرج للصلاة، فشدّ عليه عمرو بن بكر فضربه بسيفه فكانت ضربته سبباً في موته.

أما عبد الرحمن، فإنه قدم الكوفة ولقي فيها أصحابه، وكتمهم أمره مخافة أن ينتشر منه شيء ثم إنه زار رجلاً من أصحابه ذات يوم، فصادف عنده قطام بنت الأحضر بن شجينة، من تيم الرباب، وكان علي عليه السلام قد قتل أباها وأخاها بالنهروان، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها. فلما رأها ابن ملجم شغف بها، واشتد إعجابه وهيامه بها فخبر خبرها، فخطبها، فقالت له: ما الذي تسمي لي من الصداق، وقال أحد الشعراء:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة

كمهر قطام من فصيح وأعجم

(١) مقاتل الطالبيين - الطبعة القديمة ص١١.

ثـــلاثـــة آلاف وعـــبـــد وقـــيـــنـــة

وقـتـل عـلـي بـالـحـسـام الـمـصـمـم

ولا مـهـر أغـلـى مـن عـلـي وإن عـلا

ولا فـتـك إلا دون فـتـك ابـن مـلـجـم

فقال لها: احتكمي ما بدا لك. فقالت: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم، ووصيفاً، وخادماً، وقتل علي بن أبي طالب، فقال لها: لك جميع ما سألت، وأما قتل علي فأنّى لي بذلك. قالت: تلتمس غرته فإن أنت قتلته شفيت نفسي، وهنأك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها: أما والله ما أقدمني هذا المصر، وقد كنت هارباً منه لا آمن مع أهله إلا ما سألتني من قتل علي فلك ما سألت: قالت له: فأنا طالبة كل بعض من يساعدك على ذلك، ويقويّك، ثم بعثت إلى وردان بن مجالد بن تيم الرباب فخبّرته بالخبر، وسألته معونة ابن ملجم فتحمل ذلك لها.

ثم ذهب ابن ملجم إلى رجل من أشجع الرجال يقال له شبيب بن بجرة، فقال له: يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة، قال: وما هو؟ قال: ساعدني على قتل علي. وكان شبيب على رأي الخوارج، فقال لابن ملجم: وكيف تقدر على

ذلك؟ قال له: نكمن في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به وقتلناه، ولم يزل به يقنعه حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم، قد ضربت عليها قبة، فقالا لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل فقالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع، فانصرفنا من عندها، فلبثا أياماً، ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، فقال لها ابن ملجم هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي وواعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه إليه، فدعت لهم بحرير فعصّبت صدورهم، وتقلدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا قرب الباب الذي كان يخرج منه أمير المؤمنين عليه السلام.

المؤامرة التي دبّرها ابن ملجم لقتل علي عليه السلام كادت أن تفشل حيث إنه أتى إلى الأشعث بن قيس في الليلة التي أراد فيها بعلي عليه السلام ما أراد، والأشعث في بعض نواحي المسجد، فسمع حجر بن عدي الأشعث يقول لابن ملجم، النجا النجا لحاجتك فقد فضحك الصبح، فقال له حجر، قتلته يا أعور! وخرج مبادراً على علي عليه السلام وأسرج دابته. دخل علي عليه السلام المسجد لصلاة الفجر، وأقبل ينادي: الصلاة، الصلاة.

وحينذا لمع سيف شبيب لقتل الإمام علي عليه السلام، ولكنه

أخطأه حيث وقعت ضربته في الطاق، ولكن سيف ابن ملجم أصاب هدفه حيث رفعه وصاح قائلاً: الحكم لله لا لك يا علي. وهوى به فأثبت الضربة في وسط رأسه عليه السلام، وفي هذا الوقت سمع أمير المؤمنين يقول: لا يفوتنكم الرجل، وعندئذ رجع حجر إلى المسجد مسرعاً ولكنه سمع الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين وحاول الثلاثة الهروب والنجاة بأنفسهم، أما وردان فإنه تم له ما أراد، لأنه لم يتقدم لقتل الإمام عليه السلام فسهل عليه طريق النجاة. وأما شبيب بن بجرة فإنه خرج هارباً، فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله فرأى الناس يقصدون نحوه، فخشي أن يعجّلوا عليه ولا يسمعوا منه، فوثب عن صدره، وخلاه، طرح السيف من يده، فمضى الرجل هارباً حتى دخل منزله، فدخل عليه ابن عم له فرآه يحلّ الحرير عن صدره، فقال له: ما هذا، لعلك قتلت أمير المؤمنين عليه السلام، فأراد أن يقول: لا فقال: نعم، فمضى ابن عمّه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه، فضربه حتى قتله.

وأما ابن ملجم، فقد قُبض عليه وأتي به إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي. ثم دعي إلى الإمام بطبيب جراح معروف يقال له (اثيرا) فلما شاهد جرحه قال له:

يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنّ عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك، فدعا أمير المؤمنين عليه السلام عند ذلك بصحيفة ودواة وكتب وصيته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين.

أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي هذا.

١ - بتقوى الله ربّنا، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون.

٢ - واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عاقة الصلاة والصيام، وإن المبيرة الحالقة للدين فسادُ ذات البين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

٣ - انظروا ذوي أرحامكم، فصلوهم، يهوّن الله عليكم الحساب.

٤ - والله الله في الأيتام، فلا تغيّرنّ أفواههم بحضرتكم.

(وجاء «فلا تغبّوا أفواههم، ولا يضيعوا في حضرتكم» في كتاب - بحار الأنوار ج١٤ : ٧٥ - الطبعة الجديدة).

٥ - والله الله في جيرانكم، فإنها وصية رسول الله، ما زال يوصينا به حتى ظنّنا أنه سيورّثهم.

٦ - والله الله في القرآن، فلا يسبقكم إلى العمل بغيركم.

٧ - والله الله في الصلاة فإنها عماد دينكم.

٨ - والله الله في بيت ربكم، فلا يخلو منكم ما بقيتم، وأنه إن خلا منكم لم تنظروا.

٩ - والله الله في صيام شهر رمضان، فإنّه جنّة من النار.

١٠ - والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.

١١ - والله الله في زكاة أموالكم، فإنها تطفي غضب ربّكم.

١٢ - والله الله في أمة نبيّكم، فلا تظلمنّ بين أظهركم.

١٣ - والله الله في أصحاب نبيّكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم.

١٤ - والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم.

١٥ - والله الله فيما ملكت أيمانكم.

ثم قال عليه السلام: الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم فإنه يكفيكم من بغى عليكم وأرادكم بسوء.

١٦ - قولوا للناس حسناً كما أمركم الله.

١٧ - ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيتولى الأمر عليكم غيركم وتدعون فلا يستجاب لكم.

١٨ - عليكم بالتواضع والتباذل والتبادر، وإياكم والتقاطع والتفرّق والتدابر.

١٩ - تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.

٢٠ - واتقوا الله، إن الله شديد العقاب.

٢١ - حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيّه صلى الله عليه وآله، أستودعكم الله خير مستودع، وأقرأ عليكم سلام الله ورحمته[١].

١٠٩ - أين أبناؤك؟[٢]

دخل عديّ بن حاتم على معاوية بن أبي سفيان يوماً، فسأله معاوية: أين الطرفات؟ يعني طريفاً وطارفاً وطرفة أولاد عدي.

(١) مقاتل الطالبيين - الطبعة القديمة - ص١٥.
(٢) الكنى والألقاب، ج٢ ص١٠٣.

فأجاب عدي: قتلوا يوم صفين بين يدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال معاوية: ما أنصفك ابن أبي طالب، إذ قدّم بنيك وأخرَّ بنيه.

فقال عديّ: بل أنا ما أنصفت علياً، إذ قتل وبقيت.

ثم التفت معاوية إلى عديّ، وقال له: صف لي علياً. فقال عدي: إن رأيت أن تعفيني. فقال معاوية: لا أعفيك.

فوصف عديّ عليّاً بقوله:

«كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تنفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفّيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويتحبّب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه، ولا ييأس الضعيف من عدله. فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه، وأرخى الليل سرباله، وغارت نجومه، ودموعه تتحادر

على لحيته، وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول: يا دنيا إليّ تعرّضت، أم إليّ أقبلت، غرّي غيري، لا حان حينك، قد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة لي فيكِ، فعيشك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق».

هنا وكفت عينا معاوية، وجعل ينشفهما بكمه، ثم قال: «يرحم الله أبا الحسن كان كذلك» ثم أضاف قائلاً لعدي: فكيف صبرك عليه؟

فأجاب: كصبر من ذُبحَ ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها.

ثم سأله معاوية: فكيف ذكرك له؟

- وهل تراني أنساه!

٢٠٠ - نصيحة المعلم[١]

جعل معاوية بن أبي سفيان سبَّ عليّ عليه السلام على المنابر - وخاصةً عند خطبة صلاة الجمعة - سنّةً، وأوعز إلى عماله بذلك، وبلغت الحال بذلك درجةً، صار فيها سبّ الإمام

(١) شرح ابن أبي الحديد - دار الفكر - بيروت ج١ ص٤٦٣-٤٦٤.

علي عليه السلام جارياً على الألسن في جميع أنحاء البلاد الإسلامية، فرأى قوم من بني أمية أن يقترحوا على معاوية بأن يكف عن السبب ويمنعه، فقالوا له:

يا أمير المؤمنين، إنّك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً.

وكان الحجاج - لعنه الله - يلعن علياً عليه السلام ويأمر بلعنه، وحدث أن قال له معترض به يوماً، وهو راكب: أيها الأمير، إنّ أهلي عقوني فسمّوني علياً فغيّر اسمي، صلني بما أتبلغ به فإني فقير. فقال: للطفِ ما توصلت له، قد سمّيتك كذا، ووليتك العمل الفلاني فأشخص إليه.

وعن عمرو بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ونحن نلعن عليّاً عليه السلام، فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان، وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي.

فقلت له: ما بال الشيخ؟، فقال لي: يا بني أنت اللاعن علياً.

قلت: نعم.

قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم.

فقلت: يا أبتِ وهل كان عليّ من أهل بدر؟

فقال: ويحك وهل كانت بدر كلّها إلّا له؟

فقلت: لا أعود.

فقال: إنك لا تعود.

قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها.

ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المؤمنين، فكنت أسمع أبي يمرّ في خطبته، فتهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى الله لعن علي عليه السلام فيجمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالي أراك خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيباً؟ فقال: يا بني إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك، لم يتبعنا منهم أحد، فوقرت كلمته في صدري مع ما قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله وعداً، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه، فلما منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: إن الله يأمر بالعدل

والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

٢٠١ - حق المسلم على أخيه المسلم[1]

لما عزم عبد الأعلى بن أعين على السفر من الكوفة إلى المدينة، اغتنم أتباع الصادق عليه السلام هذه الفرصة، وأرسلوا معه أسئلة محرّرة يوصلها إلى الإمام عليه السلام ليجيب عليها، وطلبوا إليه أيضاً أن يسأل الإمام شفاهاً عن حق المسلم على أخيه.

فلمّا وصل عبد الأعلى إلى المدينة، ذهب إلى الإمام الصادق عليه السلام، وقدّم الأسئلة، ثم سأله عن حق المسلم على أخيه فلم يجبه الإمام على هذا السؤال.

ولما جاء إلى الإمام يودعه عندما أراد الرجوع قال: سألتك عن حق المسلم على أخيه فلم تجبني.

فقال الإمام عليه السلام: إني أخاف أن تكفروا، إنّ من أشدّ ما افترض الله على خلقه ثلاثاً:

أ - إنصاف المرء من نفسه، حتى لا يرضى لأخيه من نفسه إلا بما يرضى لنفسه منه.

---

(١) أصول الكافي، ج٢ ص١٧٠.

ب - ومواساة الأخ في المال.

ج - «وذكر الله على كل حال» وليس معنى ذلك، أن يقول سبحان الله والحمد لله، بل يجب أن يكون ذكر الله مانعاً له من ارتكاب الحرام دائماً.

٢٠٢ - حق الأمّ

كان زكريا بن إبراهيم نصرانياً مثل أبويه وسائر أفراد قبيلته، ولكنّ قلبه وضميره كانا يدعوانه للإسلام حتى أسلم.

عندما حلَّ موسم الحج، شدّ رحاله قاصداً البيت الحرام لأداء فريضة الحج الواجبة، وهناك ذهب إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: إنّي كنت على دين النصرانية، وقد أسلمت، فقال الإمام عليه السلام: أي شيء رأيت في الإسلام حتى صار سبباً في إسلامك؟

فأجاب: قوله عزّ من قائل:

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾[١].

فقال الإمام: لقد هداك الله، ثم دعا بقوله: اللهم اهده.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

ثم قال عليه السلام سل عمّا شئت يا بني.

قال: إنّ أبي وأمّي وأهل بيتي على النصرانية، وأمي مكفوفة البصر، فأكون معهم، وآكل في آنيتهم فسأله الإمام - أيأكلون لحم الخنزير؟

فأجابه زكريا: لا، ولا يمسونه.

فقال الإمام: لا بأس، فانظر أمّك وبرها، فإذا ماتت لا تكلها إلى غيرك، كن أنت الذي تقوم بشأنها (بتجهيزها) ولا تخبرنّ أحداً، أنك أتيتني حتى تأتيني بمنى إن شاء الله.

ذهب زكريا إلى الإمام بمنى والناس قد اجتمعوا حوله وكأنه معلم صبيان، هذا يسأله وذاك يستمع إليه.

انتهت أيام الحج، ورجع زكريا إلى الكوفة، وقد أودع وصية الإمام الصادق عليه السلام في صندوق ذهنه وصمم على تنفيذها، فأخذ يلاطف أمه ويسبغ عليها من حنانه ويخدمها أكثر من ذي قبل.

فقالت له ذات يوم: يا بنيّ ما كنت تصنع بي مثل هذا عندما كنت على دين النصرانية، فما الذي أراه منك منذ هجرت هذا الدين ودخلت في الإسلام؟

فقال: رجل من ولد نبينا أمرني بهذا.

فقالت: أهذا الرجل نبيّ؟

- لا، ولكن ابن نبي.
- يا بني إن هذا لنبيّ، وإن هذه إلّا وصايا الأنبياء.
- يا أماه، إنه ليس بعد نبينا نبي، ولكنه ابنه.
- يا بني، دينك خير دين، اعرضه عليّ. فعرضه عليها، فدخلت في الإسلام، وعلمها، فصلت الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم عرض لها عارض في الليل.

فقالت: يا بني، أعد عليّ ما علمتني، فأعاده عليها، فأقرت به وماتت بعد ذلك، فلمّا أصبح الصباح غسّلها المسلمون، وكان هو الذي صلّى عليها، ووضعها في قبرها.

٢٠٣ - محضر العالم(١)

جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، اتفقت جنازة ومجلس عالم في وقت واحد، فأيهما أحبّ إليك أن أشهد؟

فقال رسول الله ﷺ: إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها، فإن حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة، ومن عيادة ألف مريض، ومن قيام ألف ليلة، ومن قيام ألف يوم، ومن ألف درهم يتصدق بها على المساكين، ومن ألف حجة

(١) أصول الكافي، ج٢ ص١١٦.

سوى الفريضة، ومن ألف غزوة سوى الواجبة تغزوها في سبيل الله بمالك ونفسك، فأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم؟ أما علمت أنّ الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم؟ وخير الدنيا والآخرة مع العلم، وشرّ الدنيا والآخرة مع الجهل؟

٢٠٤ - طاووس اليماني وهشام

قدم هشام بن عبد الملك مكة المكرمة أيام خلافته قاصداً الحج، فلما استقر به المفام فيها، أمر رجاله أن يأتوه برجل من الصحابة، فقيل له قد انقرضوا جميعاً، ولم يبق أحد منهم.

فقال: فواحد من «التابعين» فجاؤوه بطاووس اليماني، فلمّا دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه وعندما سلّم عليه لم يسلّم بإمرة المؤمنين، بل قال: السلام عليك، ثم جلس بجانبه، وعندما تحدّث معه لم يخاطبه بكنيته وإنما قال له: كيف أنت يا هشام. غضب هشام غضباً شديداً من سلوك طاووس، وقال له: يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت؟

فأجابه طاووس - وما صنعت؟

فازداد غضب هشام، وقال:

- خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تسلم بإمرة المؤمنين ولم تكنني، وجلست بإزائي، وقلت: كيف أنت يا هشام؟

فأجابه طاووس قائلاً: أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدي ربّ العزّة كل يوم خمس مرات، ولا يغضب علي لذلك، وأما قولك لم تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين، فليس كلّ الناس راضين بإمرتك، وأما قولك لم تكنّني فإن الله عزّ وجل سمّى أولياءه، فقال: يا داود يا يحيى ويا عيسى، وليس هذا إهانة للأنبياء، وكنّى أعداءه، فقال: تبت يدا أبي لهب، وأما قولك جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال هشام: عظني.

فقال طاووس: سمعت من أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام، إن في جهنّم حيّات وعقارب كبيرة جداً، تلدغ كلّ أمير لا يعدل في رعيته، ثم قام وخرج بسرعة[١].

٢٠٥ - التقاعد[٢]

كان نصرانياً، وكان قد بلغ من الكبر عتياً، فلقد عمل طيلة شبابه ولكي يعيش من ثمرة أتعابه ولكنه لم يدخر شيئاً لوقت

(١) بحار الأنوار، ج١ الطبعة الجديدة ص٢٠٤.
(٢) سفينة البحار - مادة (طاووس) ص٩٥ ج٢.

كبره وهرمه. ومع هرمه فقدْ فقدَ بصره، ولم يبق أمامه طريق للمعيشة سوى السؤال والاستجداء.

مرَّ به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم فقال: من هذا، ولماذا آلت حاله إلى هكذا؟ ألا يوجد له ولد يتكفله؟ ألا يوجد له سبيل آخر يستطيع بواسطته أن يعيش أيامه الأخيرة عيشة محترمة تبعده عن السؤال؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، انه نصراني، ولقد كان قوياً بصيراً، كان يعيش من كدّ يمينه وعرق جبينه، والآن فقد قوته وبصره معاً، وليس عنده ما يستطيع أن يقوت نفسه به، فلم يبق له إلا السؤال.

فقال عليه السلام: استعملتوه، حتى إذا كبر وعجز منعتموه. انفقوا عليه من بيت المال.

٢٠٦ - حتى ولو كان نخاساً[١]

كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل يبيع الزيت، وكان يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبّاً جماً، فكان إذا أراد أن يذهب لقضاء حاجة له، لا يذهب لقضائها حتى ينعطف بطريقه على رسول

(١) وسائل الشيعة، ج٢ ص٤٢٥.

الله ﷺ، لينظر إليه، ويتزوّد منه، وكان إذا مرّ على النبي ﷺ ووجد حوله جماعة كثيرة من الناس، تطاول حتى يشاهده، حتى إذا كان ذات يوم، مرّ على النبي ﷺ فشاهد حوله جماعة كثيرة حجبته عن الأنظار فحاول أن يشاهده، فحانت من النبي ﷺ التفاتة، فرآه يحاول مشاهدته، فتطاول ﷺ له حتى نظر إليه ومضى في حاجته، فلم يكن منه إلا عاد مسرعاً، فلما رآه رسول الله ﷺ أشار إليه بيده: أن اجلس فجلس بين يديه، فقال ﷺ: ما لك فعلت شيئاً لم تكن تفعله قبل ذلك؟

فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبيّاً، غشي قلبي شيء من ذكرك حتى ما استطعت أن أمضي في حاجتي، حتى رجعت إليك، فدعا له، وقال له خيراً.

ثم مكث رسول الله ﷺ أياماً لا يراه، فلمّا افتقده سأل عنه، فقيل: يا رسول الله ما رأيناه منذ أيام، فانطلق رسول الله ﷺ مع أصحابه حتى أتوا سوق الزيت، فإذا بدكان الرجل مغلق فسأل عنه جيرته، فقالوا: يا رسول الله، لقد مات، ولقد كان عندنا أميناً صدوقاً، الا انه كانت فيه خصلة. قال: وما هي؟ قالوا: كان يتبع النساء.

فقال النبي ﷺ: رحمه الله، والله لقد كان يحبّني حباً لو كان نخاساً لغفر الله له.

٢٠٧ - بائع الخيار[1]

في القرن الثاني الهجري كانت مسألة الطلاق ثلاث مرات في مجلس واحد موضوع بحث الفقهاء وموضوع مناقشاتهم، وكان رأي أكثر الفقهاء في ذلك الوقت مؤيداً لمثل هذا الطلاق، أما فقهاء الشيعة فكانوا لا يقولون بصحته، بل يتبعون رأي أئمتهم في هذا الموضوع، حيث كان أئمتهم يقولون بأن الطلاق الصحيح هو الذي يقع ثلاث مرّات تتخللها رجعة، وذلك بأن يطلق الرجل زوجته، ثم ترجع إليه، ثم يطلقها مرة ثانية، ثم ترجع إليه مرة أخرى، ثم بعد ذلك يطلقها مرة ثالثة، وفي هذه المرّة، لا يحق للرجل أن يرجعها في عدتها، ولا يحق له أيضاً أن يتزوجها بعد العدة، الا بعد أن تنكح غيره، فيتخذ الأخير صورة «المحلل».

حدث في ذلك الوقت، أن طلق رجل من أهل الكوفة زوجته ثلاثاً مرة واحدة، وبعد أن طلقها بهذه الصورة، ندم على عمله ندماً شديداً، لأنه كان يحبها حبّاً جماً، إلا أن المشاكل المؤقتة التي شابت صفاءهما جعلته يقدم على مثل هذا العمل، كما أن زوجته هي الأخرى كانت مولعة بحبه، لذلك أخذا يفتشان عن وسيلة تنقذهما من مغبّة هذا الفراق، وعاقبة هذه الورطة.

---

(١) روضة المكافي، ص٧٧.

ذهبا إلى فقهاء الشيعة واستفتياهم بهذه المسألة، فكان رأيهم جميعاً على بطلان هذا الطلاق، وأنه لا ينتج أثراً، وأخبروهما بأنهما زوجان شرعيّان باقيان على حالتهما الزوجية السابقة. أما سائر الفقهاء وأتباعهم من عامة الناس، فكانوا يرون صحة مثل هذا الطلاق، لذلك كانوا يحذرونهما من مغبّة الرجوع. كانت مشكلتهما عويصة جداً لأنها كانت معلقة بين الحلال والحرام، فقد كانا يرغبان بإدامة حياتهما السابقة، ولكنهما كانا يخافان من أن يكون الطلاق صحيحاً، فيكون رجوعهما حراماً.

صمم الرجل على أن يأخذ برأي فقهاء الشيعة، ويعتبر طلاقه لزوجته كأن لم يكن، ولكن زوجته أبت إلا أن يأخذ برأي الإمام الصادق عليه السلام نفسه، وكان الإمام عليه السلام آنذاك قد قدم الحيرة، بأمر الخليفة السفاح، إلا أن أحداً لا يستطيع أن يتصل به، لأن السفاح منع الناس من أن يدخلوا عليه، أو أن يتصلوا به.

فكر الرجل كثيراً بالطريقة التي يمكنه بها أن يتصل بالإمام عليه السلام ولكنه لم يفلح. فكان يذهب كل يوم قرب دار الإمام عليه السلام لعله يلتمس لقاءه، فبينما هو ذات يوم على هذه الحالة إذ أقبل رجل قروي عليه جبة، يبيع خياراً، فانبثقت في

روعه فكرة وخطة جديدة للاتصال بالإمام الصادق عليه السلام، فدنا من بائع الخيار وقال له: بكم خيارك هذا كلّه.

- بدرهم.

فأعطاه درهماً وأخذ الخيار، ثم طلب إليه أن يعيره جبته لمدة قصيرة، فوافق بائع الخيار، وأعطاه جبته.

لبس الرجل الجبّة، ووضع طبق الخيار على رأسه، وانطلق ينادي: من يشتري خياراً، من يشتري خياراً، ثم انعطف على بيت الإمام عليه السلام مكرراً هتافه بأعلى صوته، فإذا بغلام يخرج من بيت الإمام عليه السلام منادياً إياه: بكم تبيع الخيار؟ فانتهز الرجل هذه الفرصة، ودخل على الإمام عليه السلام، فلما دنا منه قال عليه السلام: ما أجود ما احتلت، أيّ شيء حاجتك؟

فقال: إني ابتليت، فطلقت أهلي في دفعة ثلاثاً، فسألت أصحابنا، فقالوا: ليس بشيء، ولكن زوجتي قالت لا أرضى حتى نسأل أبا عبد الله.

فقال عليه السلام: ارجع إلى أهلك فليس عليك شيء.

٢٠٨ - شهادة أم العلاء[1]

من فرط المحبة التي شدت أواصرها بين المهاجرين الذين

(١) بحار الأنوار، ج١١ ص١٥٤.

تركوا أموالهم في مكة، وهاجروا إلى المدينة، وبين أهل المدينة الذين ناصروهم - فدعوا بالأنصار - كانت أموال الأنصار مشتركة بينهم وبين المهاجرين حتى كأنها ملك مشاع بينهم.

كانت أم العلاء الانصارية من النساء اللواتي بايعن رسول الله ﷺ على الإسلام، وكان عثمان بن مظعون من المهاجرين.

نزل عثمان بن مظعون في بيت أم العلاء، وأخذ يشاطر أهل البيت عيشتهم، إذ كان من جرّاء المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، أن أسكن الأنصار المهاجرين معهم في بيوتهم.

قالت أم العلاء: مرض عثمان بن مظعون عندنا فمرّضناه، حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ.

فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السائب، أشهد لقد أكرمك الله.

فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟

قالت: لا أدري، ولكنها كلمة جرت على لساني، وظلت بعد هذه الحادثة لا تزكي أحداً بعده. وبعد زمن رأت عثمان في المنام وله عين جارية، فذهبت إلى رسول الله ﷺ وأخبرته.

فقال ﷺ: ذاك عمله.

٢٠٩ - أذان في نصف الليل[1]

كانت القدرة والسلطة في زمان الخلفاء الأمويين بيد الأعراب أنفسهم، أما في زمان الخلفاء العباسيين فكانت بيد الفرس، فقد تسلطوا على جميع شؤون الدولة في ذلك الوقت، وقد شجعهم على ذلك الخلفاء العباسيون أنفسهم، وقد بلغت قدرتهم أوجها في زمن المأمون، أما في زمن أخيه المعتصم، فقد انتقلت القدرة إلى الأتراك، لأنه كان يميل إليهم كثيراً لكون أمه تركية منهم. هذا من جهة، وكان يخاف الفرس لأنهم كانوا مناصرين للمأمون، من جهة أخرى، لذا زجّ العباس بن المأمون في السجن، حيث توفي هناك، لأنه خاف من أن يستولي على عرش الخلافة بمساعدة الفرس.

أخذ المعتصم يشجع الأتراك على الهجرة إلى بغداد، فكانوا يأتون زمراً وفرادى، حتى قويت شوكتهم، وسيطروا على شؤون الدولة جميعاً.

كان هؤلاء الأتراك أقوياء أشداء أصحاء، كما تستلزمه طبيعة بلادهم وبداوة معيشتهم. وهذه البداوة أكسبتهم قوة في البدن، وخشونة في الطبع، وقد تجلّى هذا في معاملتهم للناس، فضجّ منهم أهل بغداد في عصر المعتصم، وطلبوا إليه أن ينقلهم

(١) أسد الغابة - ج٥ ص٦٠٤.

إلى مكان آخر وإلا سيشكون أمره إلى الله فوافق المعتصم على ذلك، ولبى طلبهم بأن نقلهم إلى سامراء بنقل مركز الخلافة إلى هناك.

استمرت الحال على هذه الشاكلة حتى زمن المعتضد، ففي عهد هذا الخليفة حدث أن شيخاً من التجار كان له على بعض القوّاد مال جليل يماطله به، ولم يستطع إيصال ظلامته إلى الخليفة المعتضد، لأنه كان إذا جاء حجه القائد، واستخفّ به غلمانه، فدلّوه على خياط في سوق الثلاثاء فأمر الخياط القائد بدفع ما عليه للتاجر ففعل، فعجب التاجر من هذا الذي رأى وألح عليه في السؤال عن سبب خضوع القائد. فقص عليه أنه مرّ مرة في الطريق، فرأى تركياً على داره، وقد خطرت عليه امرأة جميلة، فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره، وهي ممتنعة تستغيث، ليس أحد يغيثها، وتقول: إن زوجي قد حلف بالطلاق ألّا أبيت خارج بيته، فإن يبيتني، أخرب بيتي مع ما يلحقه من العار.

قال الخياط: فجئت إلى التركي وزعقت به، وسألته تركها، فضرب رأسي بدبّوس كان في يده فشجّه وآلمني وأدخل المرأة داره. فجمعت جمعاً وجئنا، فضججنا على بابه، فخرج إلينا في عدة من غلمانه، فأوقع بنا الضرب، وذهبت إلى بيتي ولم أزل

أفكر في هذه المرأة حتى انتصف الليل، فقلت في نفسي إن هذا التركي قد شرب طول ليلته، ولا يعرف الأوقات، فإن أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع، فيطلق المرأة، فتلحق بيتها قبل الفجر، فتسلم من أحد المكروهين، ولا يخرج بيتها مع ما قد جرى عليها. فخرجت إلى المسجد وصعدت المنارة فأذنت، وجعلت أتطلع منها إلى الطريق، أترقب خروج المرأة فلم تخرج وإذا الشارع امتلأ خيلاً ورجالاً ومشاعل، وهم يقولون من هذا الذي أذّن الساعة؟ ففزعت، ثم صحت من المنارة: أنا أذنت. فقالوا لي انزل فأجب أمير المؤمنين، ثم جيء بي إلى المعتضد وقصصت عليه القصة، فأحضر التركي والمرأة، فلما تحقق من صحة قولي، أمر بردّ المرأة إلى زوجها، وأن يمسكها ويحسن إليها، ثم أمر بقتل التركي.

قال الخياط: وأمرني المعتضد إذا رأيت مثل هذا العمل، فأأذن، وأنشر الخبر، فما سألت أحداً من الناس بعد تلك الواقعة إلا امتثل خوفاً من علم الخليفة وقصاصه، وما رأيته من القائد فهو مصداق لادعائي.

٢١٠ - شكاية امرأة من زوجها[1]

كان الإمام علي عليه السلام يهتم بأمور المسلمين بإخلاص ومثابرة، وكان يشرف عليها بنفسه، فحدث أن رجع عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني، واعتدى عليّ، وحلف ليضربني.

فقال عليه السلام: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله.

فقالت: يشتدّ غضبه وحنقه عليّ.

فطأطأ رأسه، ثم رفعه، وهو يقول: لا والله أويؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، ثم قال: أين منزلك؟ مضى الإمام حتى باب دارها. ووقف عنده، ثم قال: «السلام عليكم».

فخرج شاب، فقال الإمام عليه السلام: يا عبد الله اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها.

فقال الفتى: وما أنت وذاك، والله لأحرقنها لكلامك.

فقال الإمام عليه السلام: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر بالمعروف.

وبينما هما على هذه الحالة، إذ أقبل بعض المارة، فسلموا

---

(١) ظهور الإسلام، ج١ ص٣٢و ٣٣.

على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمارة، فعلم الشاب أنه إنما يكلم علياً أمير المؤمنين عليه السلام وحينئذ تقدم نحو الإمام، يطلب عفوه ويقول: يا أمير المؤمنين، أقلني عثرتي فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني، فأغمد عليّ سيفه، وقال: يا أمة الله منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه.

٢١١ - الأعمال البيتية(١)

بعد أن تزوّج الإمام علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام، وبدآ حياتهما المشتركة، أرادا أن يقسما أعمالهما المنزلية فيما بينهما، فطرحا الأمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وطلبا منه أن يقضي بينهما في ذلك فقبل صلى الله عليه وآله وسلم. وقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب - أي بالأعمال المنزلية - وقضى على الإمام عليّ صلى الله عليه وآله وسلم بما خلفه، أي بالأعمال التي تتعلق بخارج المنزل.

فقالت فاطمة عليها السلام: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلّا الله، بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحمل أشغال الرجال وأعمالهم، ومن ذلك التاريخ التزم الإمام علي عليه السلام إنجاز الأعمال الخارجية: مثل جلب الماء وشراء الحطب والطعام وما شابه

(١) بحار الأنوار، ج٩ - مطبعة تبريز - ص٥٩٨.

ذلك والتزمت فاطمة عليها السلام إنجاز الأعمال المنزلية، كطحن الحنطة وإضرام التنور لخبزها، وطبخ الطعام وغسل الملابس، وتنظيف البيت، وكان الإمام عليه السلام يشاركها في كل ذلك، بين الحين والآخر، كلما حانت له فرصة وساعده وقته، ثم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الآخر كان يساعدهما في ذلك عندما كان يدخل عليهما البيت زائراً ويجدهما يشتغلان، كما كان صلى الله عليه وآله وسلم ينجز أعمال علي عليه السلام البيتية والخارجية، كلّما حصل لعلي عليه السلام مانع يمنعه عن إنجازها.

استمرت حياة الزوجين الوفيين على هذه الصورة حتى ابتهجت حياتهما بزغردة الأطفال ومناغاتهم، فكثرت الأعمال البيتية، وازدادت متاعب فاطمة عليها السلام تبعاً لذلك، فرقّ الإمام عليه السلام لحالها وكانت من أحبّ أهله إليه - لما رآها وقد أثرت الأعمال المنزلية فيها كثيراً، فقد طحنت حتى مجلت يداها، وكنست البيت، وأوقدت النار تحت القدر حتى اغبرّت ودكنت ثيابها.

فقال لها الإمام عليه السلام ذات يوم، وقد آذاها التعب: لو ذهبت إلى أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسألتيه خدماً تكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت عنده جماعة، فاستحت أن تخبره بحاجتها، فانصرفت، فعلم

النبي ﷺ بما يداخلها، فغدا إلى بيتها في اليوم التالي، وسألها عن حاجتها، فقال له الإمام عليه السلام: أنا أخبرك يا رسول الله.

إنها استقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً تكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل.

فقال النبي ﷺ: ألا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، وكان ﷺ لا يريد أن يعيش أحد من عياله معيشة أرفع من معيشة فقراء المدينة، وخاصة في ذلك الوقت، حيث كانت المدينة بلدة فقيرة جداً. فقالا: وما هو؟

- إذا أخذتما منامكما، فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين فقالت فاطمة عليها السلام: رضيت بما يرضى به الله ورسوله[1].



(١) البحار، ج١٠: ٢٤-٢٥.

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الثاني